

**THE BOOK WAS  
DRENCHED**

UNIVERSAL  
LIBRARY

**OU\_191050**

UNIVERSAL  
LIBRARY







# النبي

## لجبران خليل جبران

وضعه باللغة الأنكليزية وقد ترجمه الى العربية

الارشمندريت الطونيوس بشير

ان جميع كتابات جبران تدعو الى التفكير  
العميق . فان كنت تخاف ان  
تفكر فالاحذر لك الا تقرأ جبران

عنى بمؤتمره

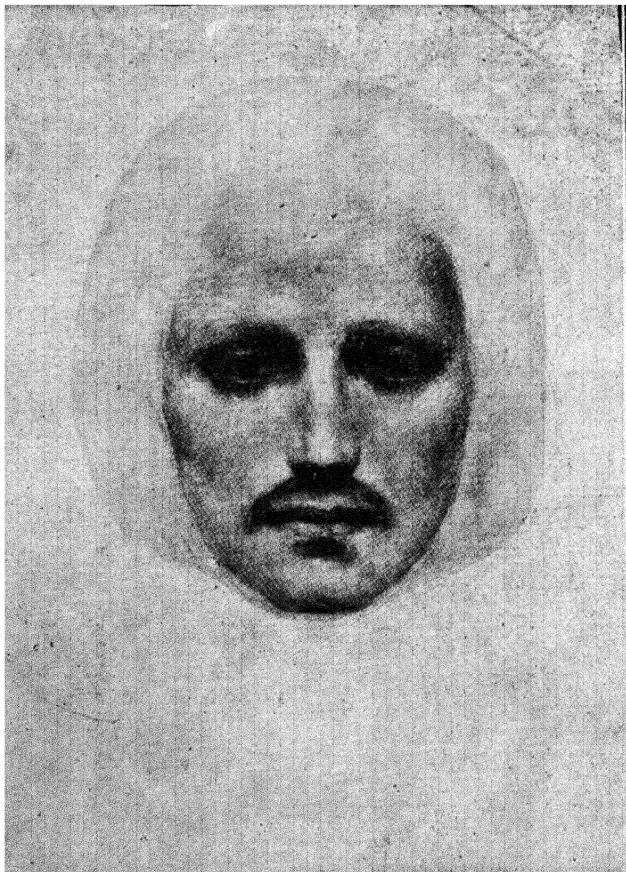
### يوسف تومالستيانى

صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

الطبعة الاولى

جميع الحقوق محفوظة للمعرب





1. *indio*





## كلمة المترجم

لو قَصَرْنَا الدين على اَثوابِهِ الخارجية لكان جبران كافرًا  
وكان المترجم هذا الكتاب مخطئا في نقله إلى العربية —  
وإن كان ناقل الكفر ليس بكافر . ولكن لو نظرنا في الدين  
إلى جوهره دون قشوره ، لرأينا أن جبران في طبيعة المؤمنين  
العاملين على نشر الحقيقة الأزلية مجردة عن زخرف الوهم  
وبهجة الرسم ، متحلية بجباب فتان من الفن الخالد .  
في العقائد والمذاهب المنتشرة في العالم اليوم ، كما في جميع  
نُظْمِهِ الاجتماعية . قشورُهُ يابسة ممتلئة من سوس الماضي  
تكاد تقضى على البقية الباقية من الباب في هذه العقائد  
والمذاهب . فهنالكَ أنصارُ الحرف القاتل الذين يؤلفون  
الأكثرية الساحقة بين ذوى الشرائع يحاربون الروح المجددة  
بكل ماديهم من آلات الحرب والشر التي ورثوها عن

جدودهم الغيرُ على فريسيَّةِ الناموس والأَنْبياءِ . هؤلاء هم أبناءُ ظلمةِ الأُمس يقضون أعمارهم متمسكين بأهدابِ الشريعةِ الصِّماءِ . وان كانت الشريعةُ تقتل أرواحهم وتعمل على قهرهم وجودهم ومدلتهم . وهنالك أنصارُ اروحِ المحييةِ الذين يؤلفون الأقليةِ الصغرى في الناس يحاربون جيوشِ الظلمةِ ويحسرون القناع عن وجهِ الحقيقةِ بكل ما أُوتوا من حكمةٍ ومعرفةٍ . هؤلاء هم أبناءُ نورِ الغدِ يحترمون الشريعةَ بمقدار ما تحترم الشريعةُ الحياةَ التي في قلوبهم . ويضربون بها عرض الحائط اذا كانت تغلُّ إرادتهم وتثقل كاهلهم بنيرِ الجهلِ والغباوةِ .

والأديبُ المجددُ ، الذي دُعي بحق نابغةِ المهجورِ رسولِ الشرقِ إلى الغربِ ، جبران خليل جبران مؤلفِ هذا الكتابِ هو في مقدمة أنصارِ الروحِ هؤلاء . ولذلك يسرني أن أقدمَ إلى قراءِ العربيةِ المفكرين خلاصةَ أفكاره وآرائه في أسرارِ الحياةِ من المهدِ إلى اللحدِ ، مجموعة في هذا الكتابِ الصغيرِ الطافحِ بثمراتِ نبوغهِ وعمقِ ريتهِ .

رجل ، إن في أعماق جبران نفساً تطمح الى الجديد المفيد ، وتنفر من كل تقليد بليد ، فهو لا يكتب إلا ما يعتقد أنه حقاً وصورأباً ، ولذلك تأتي كتابته مرآة نقية تعكس شخصية كبيرة تأتي أن نتقيد بقيود الماضي أو أن تلبس حلة غير حلها ، بيد أن هذه الشخصية الممتازة قد ظهرت في أوج عظمتها وكمال روحانيتها في هذا الكتاب الذي أودعه المؤلف خلاصة آرائه في الحب والزواج ، والأولاد . والبيوت والثياب . والبيع . والشراء . والجرائم . والعقوبات ، والحريات والشرائع ، والعقل . والهوى . والإثم . والصدقة . والدين والموت ، وغير ذلك ، على لسان نبي سماه الصطفى . وكأننا بالمؤلف قضى حياته يستعد لاجراج هذا السفر النفيس ، فان كتبه السابقة من عربية وانكليزية ليست سوى مقدمات لما في هذا الكتاب من حكمة ، وفلسفة ، وشعر وفن . فلا ترى فيه جبران الثائر الذي تراه في العواصف ( والارواح المتمردة ) ، ولا جبران الشاعر الذي تراه في « أيتها الارض » و « أيها الليل » وغيرهما ، ولا جبران المتألم في « لكم

لبنانكم ولى لبنانى» ، وفى صورة « وجه أمى وجه أمى »  
ولا جبران المعلم الحكيم فى « القشور واللباب » ( والمجنون  
والسابق ) ولا جبران الرسام الرمزى فى جميع ما أبرزته ريشته  
الساحرة ، ولا جبران الخيالى فى بين ليل وصباح ، وفى حفار  
القبور ، بل ترى فى هذا الكتاب جبران الذى هو مزيج من  
هذه العناصر جميعها . بل هو خلاصتها المختارة . فانك لا تقرأ  
فصلاً من فصوله الا وترى أمامك حكمة من خيال وفلسفة  
فى بلاغة وجمال (١)

قال أحد كبار المفكرين الغربيين ، « أن جبران حدث  
فى العمر ولكنه شيخ فى الحياة . فهو كالأحداث تواق للجمال  
وكالشيوخ متعشق للحكمة والحقيقة . فكأننا به يقول ،  
سأدرك جميع الحقائق ، سأعرف ما لا يوجد ناقصاً فى الموازين ،  
سأبكي مع الباكين ، وسأضحك مع الضاحكين ، سأسيح فى  
جميع الفصول ، وحيثما سرت سأهتدى الى محبى .  
وقال آخر « ليس فى حياة جبران من أثر للتقليد

أو الجود ، فلا هو بالمتفائل ، ولا بالمتشائم ، ولا هو بالكاهن  
ولا بالكافر . بيد أنه بالحقيقة نبي بعيد النظر . مترنم أبدأً  
بأناشيد الفن الخالدة . ولعله يرى بعينه الشرقتين مالا تتاح  
لنا رؤيته نحن أبناء الغرب ، ولا غرو ، فان معامى الانسانية  
جاءوا دائماً من الشرق !

وقال أديب آخر : « إن جميع كتابات جبران تدعو إلى  
التفكير العميق ، بل ترغم قارئها إلى أعمال ذهنه وعقله . فان  
كنت تخاف أن تفكر فلا أجر بك ألا تقرأ جبران . »  
وقال غيره : « نحن نعتقد أن مؤلفات جبران بستان  
خالد ممتلي بأثمار الغبطة والبهجة . بل هو جنة نور عجيب  
لا يعثر فيها حتى أعداء الحقيقة أنفسهم . »

وقال آخر : ان جبران قد اقترب من الغرب ، وعلى  
شفتيه ابتسامة الشرق الجميلة ، يحمل عطيةً ثمينة في صدره  
لكي يقدمها إلى الغرب . فقد جاء كالسيح يطفح قلبه محبةً  
وقال أوغست رودين أعظم نحّاتى العصر الحاضر بعد  
أن عرف جبران عند ما كان يعرض صورته في باريس ،

« أن العالم يجب أن ينتظر كثيراً من شاعر لبنان ونابعته جبران . فهو وليم بلايك القرن العشرين !

هذا قليل من كثير مما لدينا من أقوال علماء الغرب في مؤلف « النبي » رأينا أن نثبته لأبناء الشرق لكي يعرفوا أن الغرب يقدر النابهين من رجال الشرق قدرهم وينزلهم منزلتهم من الاعتبار . وربما كانت هذه أبرز ميزات الغرب على الشرق في استثمار مواهب الناس .

ولابد لنا قبل الفراغ من كلمتنا هذه أن نلفت أنظار القراء الكرام إلى الملاحظات التالية .

(١) جبران يصور فكره قبل أن يعبر عنه بالألفاظ ، لأنه من نوابغ المصورين ، لذلك فليعن القارئ بدرس صورة كل فكر من أفكار المؤلف قبل أن يدرس الألفاظ التي تعبر عنها .

(٢) جبران مفكر عميق وشاعر غير مخير في شاعريته ، فكل عبارة تخرج من شفثيه ملؤها الفكر والشعر .

فادالم تشاطر جبران شعوره ، وتصبغ فكره بصبغة فكره  
فعبثاً تحاول أن ترافقه في سياحاته

(٣) ليس جبران كافرأ ، بل هو مؤمن صادق في دينه  
وهو يعتقد أن الدين كل ما في الحياة من الأعمال والتأملات  
وربما كان الفرق بين دينه ودين الذين يرشقونه ( بالحرم الثقيل )  
كالفرق بين دين يسوع ودين الكتبة والفريسيين المرأين  
الذين كانوا يقولون إن فيه شيطاناً :

(٤) رأينا أن ثبت في ترجمة « النبي » العربية الرسوم  
الاثنى عشر التي رسمها المؤلف للأصل الأنكليزي « ولله  
هذه الرسوم البديعة التي لا بدَّ منها لاكمال الكتاب .  
فالصورة الأخيرة من أروع ما تصوّر به القوة المدبرة التي وراء  
هذا الكون - يدٌ تعمل ، وبصيرة ترى ، وحوّلها العوالم  
صنعها في حلقات متراكزة » . ومع أن هذا النوع من  
التصوير الرمزي جديدٌ في العالم العربي فإنه أجمل ما تزيّن به  
المتاحف ودور العلم وبيوت العبادة في العالم المتمدّن . لذلك



فلينظر القارئ إلى الحقيقة التي يرمز إليها كل رسم من هذه الرسوم قبل أن يقصر نظره على الرسم نفسه.

(٥) ليس « النبي » رواية أو حكاية يكفي أن يمر بها

القارئ ليذكر فحواها ، ويفهم الحقيقة المنطوية عليها ، ولكنه

دائرة علم ، وأدب ، وفن ، وحكمة ، وفلسفة . فلا تترك

عبارة من عباراته قبل أن تقف على الحقيقة التي وراءها .

وتتفهم العقيدة الجديدة التي تحملها إليك ، فإن جاءت مثبتة

لما لديك فاقبلها واحتفظ بها . وإن جاءت غريبة عما عرفته

وألفته فلا ترفضها بل ضعها في دائرة من ذاكرتك ثم عد

إليها بعد حين متذكراً أن الذين اضطهدوا غاليليو واحتقروا

آراءه الغريبة ما كانوا يبضطهدوه لو عاد وعادوا إلى

الحياة اليوم :

الارشمندريت انطونيوس بشير

أميركا الشمالية

## النبي

وظلّ المصطفى ، المختار الحبيب ، الذي كان فجرًا لذاته ،  
يتربّحُ عودة سفينته في مدينة أورفليس اثنتي عشرة سنة  
ليركبها عائداً الى الجزيرة التي وُلِدَ فيها .

وفي السنة الثانية عشرة ، في اليوم السابع من ايلول ،  
شهر الحصاد ، صعد الى قنة إحدى التلال القائمة وراء  
جدران المدينة وألقى نظرة عميقة الى البحر ، فرأى سفينته  
تمخرُ عبابَ البحر مغمورة بالضباب .

فاختلج قلبه في أعماقه ، وطارت روحه فوق البحر فرحاً  
فأغمض عينيه ، ثم صلى في سكون نفسه .

\*  
\* \*

غير أنه ما هبط عن التلة حتى فاجأته كآبة صماء ، فقال

في قلبه :

كيف أنصرف من هذه المدينة بسلام ، وأسير في البحر  
من غير كآبة ؟ كلا ، أنى لن أبرح هذه الأرض حتى تسيل  
الدماء من جراح روحى .

فقد كانت أيام كآبى طويلة ضمن جدرانها ، وأطول  
منها كانت ليالى وحدتى وانفرادى ، ومن ذا يستطيع أن  
ينفصل عن كآبته ووحده من غير أن يتألم فى قلبه ؟

كثيرة<sup>٢</sup> هى أجزاء روحى التى فرقها فى هذه الشوارع ،  
وكثير هم أبناء حنينى الذين يمشون عراة بين التلال ، فكيف  
أفارقهم من غير أن أثقل كاهلى وأضغط روحى !

فليس ما أفارقه بالثوب الذى أنزعه عنى اليوم ثم ارتدى  
به غداً ، بل هو بشرة<sup>٢</sup> أمزقتها يدي .

كلا . وليس فكراً أخلفه ورائى ، بل هو قلب<sup>٢</sup> جملة<sup>٢</sup>  
مجاعتى وجماه عطشى رقيقاً خفوقاً .

ييد أننى لا أستطيع أن ابطئ فى سفرى .  
فان البحر الذى يدعو كل الأشياء إليه يستدعنى ، فيجب  
على أن أركب سفينتى وأسير فى الحال إلى قلبه .  
ولو أقتُ الليلة ههنا ، فاننى . مع أن ساعات الليل  
ملتهبة . أجمد وأتلور . وأتقيّد بقيود الأرض الثقيلة .  
وإننى أودّ لو يُتاح لى أن يصحبنى جميع الذين ههنا .  
ولكن أنى يكون لى ذلك ؟

فان الصوت لا يستطيع أن يحمل اللسان والشفيتين اللواتى  
تسلحن بجناحيه . ولذلك فهو وحده يُخترق حُجُبَ الفضاء .  
أجل ، والذسرُ ، ياصاح ، لا يحمل عشهُ بل يطير وحدهُ  
محلّقاً فى عنان السماء .



وعند ما بلغ المصطفى الى سفح التلة ، التفت ثانيةً إلى  
البحر ، فرأى سفينتهُ تدنو من المرفأِ ، وابناء بلاده يروحون  
ويجيئون على مقدّمها .

فهتف لهم من صميم فؤاده وقال :  
يا أبناء أمّى الأولى أيها الراكبون متون الأمواج ،  
المذللون مدّها وجزرها .

كم من مرة أبحرتم في أحلامى . وها قد أتيتم ورايتكم  
في يقظتى التى هى أعمق أحلامى .

إننى على أتم الأهبة للإبحار ، وفى أعماقى شوق عظيم  
يترب هبوب الريح على القلوع بفارغ الصبر .

ولكننى اودّ ان أتففس مرة واحدة فى هذا الجو  
الهادى ؛ وان أبعث بنظرة عطف واحدة الى الورااء .

وحينئذ أقف معكم ؛ ملاحاً بين الملاحين .

أما أنت أيها البحر العظيم ، أيها الأمُّ الهاجعة .

أنت أيها البحر العظيم الذى فىك وحدك يجد النهرُ  
والجدولُ سلامهما وحرّيتهما .

فاعلم أن هذا الجدول ان يدور إلا دورة واحدة بعد ،  
ولن يسمع أحدٌ خريرةً على هذا المعبر بعد اليوم ، وحينئذ



13 *inno*



آتى اليك ، نقطةً طليقةً إلى أوقيانوس طليق .

\*  
\* \*

وفيما هو ماش رأى عن بُعد رجالاً ونساءً يتركون  
حقولهم وكرمهم ويهرولون إلى أبواب المدينة .

وسمعهم يصرخون بعضهم ببعض من حقل إلى حقل  
مرددين اسمه وكل منهم يحدث رفيقه بقدوم سفينته .

\*  
\* \*

فقال في نفسه :

أ يكون يوم الفراق يوم الاجتماع ؟  
أم يجرى على الأفواه أن مسائي كان فجرًا لي ؟  
وماذا يجدرُ بي أن أقدم للفلاح الذى ترك سكنته في نصف  
نلمه ، وللكيرام الذى أوقف دولاب معصرته ؟

أيتحول قلبي إلى شجرة كثيرة الأثمار فاقطف منها

واعطيهم ؟



أم تفيض رغباتي كالينبوع فاملاً كؤوسهم ؟  
هل أنا قيثارَةٌ فتلامسني يدا القدير ، أم أنا مزمارٌ  
فتمرّبي أنفاسه ؟

أجل ، إنني هائمٌ أنشدُ السكينة ، ولكن ماهو الكنز  
الذي وجدته في السكينة لكي أوزعه بطمأنينة ؟

وان كان هذا اليوم يوم حصادي ، ففي أية حقول بذرتُ  
بذارى . وفي أى فصلٍ من الفصول المجهولة كان ذلك ؟  
وان كانت هذه هي الساعة التي يجدر بي أن أرفع فيها  
مصباحي واضعاً إياه على منارتي ، فان النور الذي يتصاعد منه  
ليس مني :

لأنني سأرفع مصباحي فارغاً مظلماً .  
ولكن حارس الليل سيملاًهُ زيتاً ، وسينيرهُ أيضاً .



قال هذا مبرراً عنه بالألفاظ . ولكن كثيراً مثل هذا

حفظه في قلبه من غير أن يعلنه . لأنه هو نفسه لم يقدر  
ان يوضح سره العميق .

\*  
\* \*

وعند ما دخل المدينة استقبله الشعب بأسره ، وكانوا  
يهتفون له مرحبين به بصوت واحد .  
فوقفه شيوخ المدينة وقالوا له :  
ربك لا تفارقنا هكذا سريعاً .  
فقد كنتَ ظهيرةً في شفقنا ،  
وقد أوحى شبابك الأحلام في نفوسنا .  
وانت لست بالغريب بيننا ، كلا ، ولا انت بالضيف ،  
بل انت ولدنا وقسيم ارواحنا الحبيب .  
فلا تجعل عيوننا تشتاق الى رؤية وجهك .

\*  
\* \*

ثم قال له الكهان والكاهنات :

لا تأذن لأمواج البحر أن تفصل بيننا ، فتجعل  
الاعوام التي قضيتها بيننا نسياً منسياً .  
فقد كنت فينا روحاً محيية ، وكان خيالك نوراً يشرق  
على وجوهنا .

قد تمسقتك قلوبنا ، وعلقتك ارواحنا ،  
ولكن محبتنا تقنعت بحُجُب الصمت ، فلم نستطع ان  
نعبر عنها .

بيد انها تصرخ اليك الآن بأعلى صوتها ، وتمزق  
حُجُبها بيديها ، لكي تظهر لك حقيقتها .  
فان المحبة منذ البدء لا تعرف عمقها الا ساعة الفراق .



ثم جاء اليه كثيرون متوسلين متضرعين . فلم يردَّ على  
أحدٍ جواباً . ولكنه كان يحنى رأسه ؛ وكان الواقفون  
حوله ينظرون عبراته تتساقط بغزارة على وجنتيه و صدره .

وظل يمشى مع الشعب حتى وصلوا الى الساحة الكبرى  
أمام الهيكل

\*  
\* \*

وحدث اذ ذاك ان امرأة عرافة خرجت من المقدس ،  
اسمها المِطْرَة .

فنظر اليها نظرة ملؤها الحب والحنان ، لأنها كانت  
أول من سعى اليه وآمن به مع انه لم يكن له الا ليلة  
وضحاها في مدينتهم .

فخيته باحترام وقالت له :

يا نبي الله ، قد طالما كنت تسعى وراء ضالتك المنشودة ،  
مفتشاً عن سفينتك التي كانت بعيدةً عنك .

وها قد وصلت سفينتك ، ولم يبق من بدّ لسفرك .

عظيمٌ هو حنينك الى أرض أحلامك وتذكاراتك

ومواطن الفائقات من رغباتك ، ولذلك فاز محبتنا لا تقيدك ،

وحاجتنا اليك لا تمسك بك .

ولكننا واحدةً نسألك قبل أن تفارقنا :  
أنْ تخطبَ فينا وتمطينا من الحق الذي عندك .  
ونحن نعطيهِ لأولادنا ، وأولادنا لأولادهم وأحفادهم ،  
وهكذا يثبت كلامك فينا على ممرِّ العصور .  
ففي وحدتك كنت ترقبَ أيامنا ، وفي يقظتك كنت  
تصنئ الى بكائنا وضحكنا في غفلتنا .  
لذلك نضرع اليك أن تكشف مكنوناتنا لذواتنا ،  
وتخبرنا بكل ما أظهرَ لك من أسرار الحياة من المهد الى اللحد  
فأجاب قائلاً :

\*  
\*\*

يا أبناء اورفليس ، بماذا احدثكم ان لم أظهر لكم  
ما يحتاج في نفوسكم وتنجركُ به ضمائركم حتى في هذه  
الساعة ؟

\*  
\*\*

حينئذ قالت له المِطْرَة ، هات لنا خطبةً في المحبة .



فرفع رأسه ونظر الى الشعب نظرة محبة وحنان ،  
فصمتوا جميعهم خاشعين . فقال لهم بصوت عظيم  
اذا أشارت المحبة اليكم ، فاتبعوها ،  
وإن كانت مسالكها صعبةً متحدرة .  
واذا ضمتكم بجناحيها ، فاطيعوها ،  
وان جرحكم السيف المستور بين ريشها .  
واذا خاطبتكم المحبة : فصدقوها .  
وإن عطل صوتها أحلامكم وبددها كما يجعل الريح  
الشمالية البستان قاعاً صنفصفا

\*  
\* \*

لانه كما ان المحبة تكلمكم ، فهي أيضا تصابكم .  
وكما تعمل على نموكم ، هكذا تعاممكم وتستأصل  
الفاسد منكم .

وكما ترتفع الى أعلى شجرة حياتكم فتعانق أغصانها  
اللطيفة المرتعشة امام وجه الشمس ،

هكذا تنحدرُ الى جذورها الملتصقة بالتراب وتهزُّها  
في سكينۃ الارض



المحبة تضمكم الى قلبها كأنمار الجنوب .  
وتدرسكم على بيادرها لكي تظهر عريكم .  
وتقر بلكم لكي تحرركم من قشوركم .  
وتطحنكم لكي تجعلكم أقياء كالثلج .  
وتعجنكم بدموعها حتى تلينوا ،  
ثم تعدكم لنارها المقدسة ، لكي تصيروا خبزاً مقدساً  
يقرب على مائدة الرب المقدسة .



كل هذا تصنعه المحبة بكم لكي تدركوا أسرار قلوبكم ،  
فتصبحوا بهذا الإدراك جزءاً من قلب الحياة





غير انكم اذا ختم ، وقصرتم سعيكم على الطمأنينة  
واللذة في المحبة :

فلا جدر بكم أن تستروا عريكم وتخرجوا من بيدر  
المحبة ، الى العالم البعيد حيثما تضحكون ، ولكن ليس كل  
ضحككم ، وتبكون ، ولكن ليس كل ما في ما فيكم من  
الدموع .



المحبة لاتعطي الا نفسها ، ولا تأخذ الا من نفسها .  
المحبة لاتملك شيئاً ، ولا تريد ان يملكها احد :  
لان المحبة مكثفية بالمحبة .



اما أنت اذا أحببت فلا تقل ، « ان الله في قلبي » ،  
بل قلْ بالاحرى ، « انا في قلب الله » .  
ولا يخطر لك البتة انك تستطيع أن تتسلط على مسالك

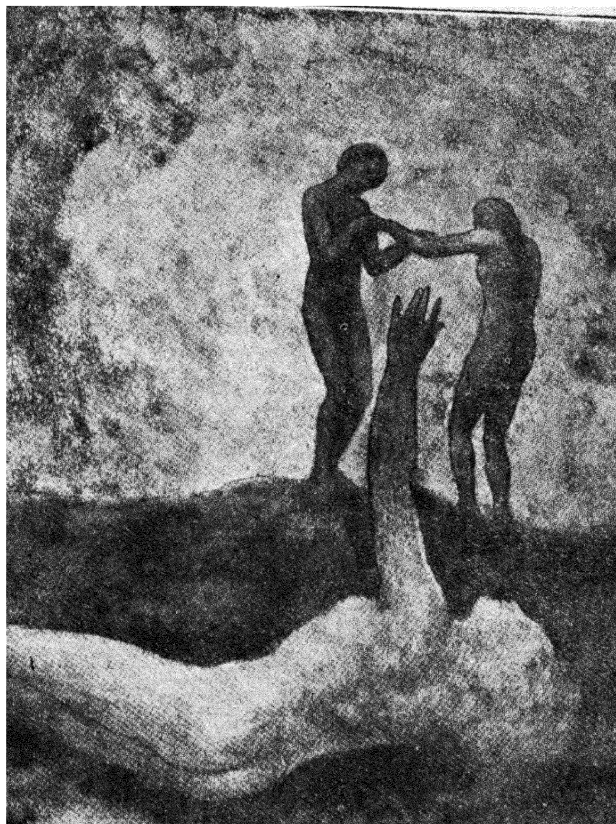
المحبة ، لان المحبة ، ان رأيت فيك استحقاقاً لنعمتها ، تتسلط  
هي على مسالكك .

\* \* \*

والمحبة لارغبة لها الا في أن تكمل نفسها ،  
ولكن اذا أحببت ، وكان لا بد من أن تكون لك  
رغبات خاصة بك ، فلتكن هذه رغباتك .  
أن تدوب وتكون كجدول متدفق يشنف آذان الليل  
بانعامه .

أن تجبر الآلام التي في العطف المتناهي .  
أن يجرحك ادراكك الحقيقي للمحبة في حبة قلبك :  
وأن تنزف دماؤك وانت راض مغبوط .  
أن تهض عند الفجر بقلب مجنح خفوق ، فتؤدى  
واجب الشكر ملتصقاً يوم محبة آخر  
أن تستريح عند الظهيرة وتناجي نفسك بوجد المحبة :  
أن تعود الى منزلك عند المساء شاكرأ :





20 2210

فتنام حينئذ والصلاة لأجل من أحببت تترددُ في قلبك وانشودة الحمد والثناء مرتسمة على شفقتك ثم قالت له المطرة ثانية ، ومارأيك في الزواج أيها المعلم ؟ فأجاب قائلاً :

قد وُلدتم معاً ، وستظلون معاً الي الأبد .  
وستكونون معاً عندما تبدد أيامكم أجنحة الموت البيضاء .  
أجل ، وستكونون معاً حتى في سكون تذكارات الله .  
ولكن فليكن بين وجودكم معاً فسحات تفصلكم بعضكم عن بعض ، حتى أن أرياح السماوات ترقص فيما بينكم أحبوا بعضكم بعضاً ، ولكن لا تقيّدوا المحبة بالقيود بل لتكن المحبة بحراً متموجاً بين شواطئ نفوسكم .  
املاؤا كل واحد منكم كأس رفيقه ، ولكن لا تشربوا من كأس واحدة .

أعطوا من خبزكم كل واحد لرفيقه ولكن لا تأكلوا من الرغيف الواحد .

غنوا وارقصوا معاً ، وكونوا فرحين أبداً ، ولكن  
فليكن كل منكم وحده ،  
كما أن أوتار القيثارة يقوم كل واحد منها وحده  
ولكنها جميعاً تخرج نغماً واحداً .

\*  
\* \*

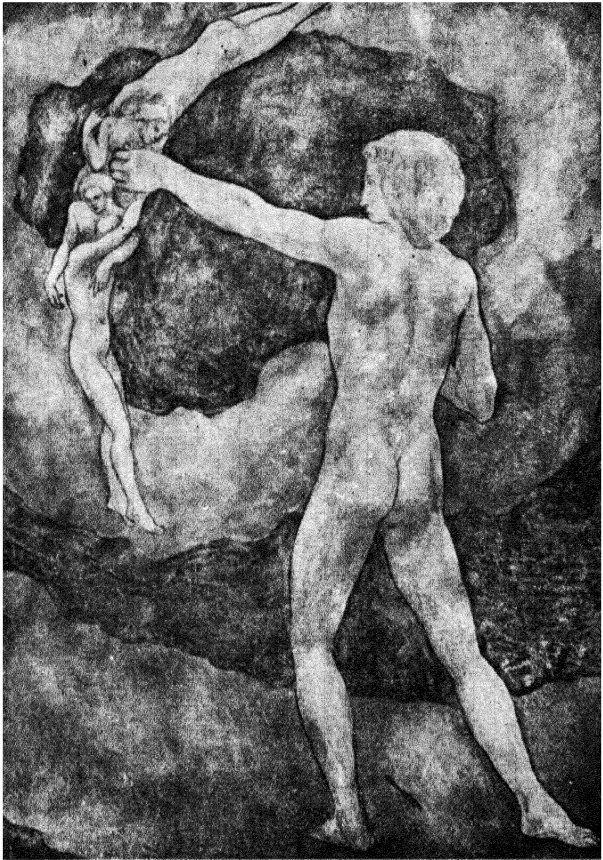
أعطوا كل منكم قلبه لرفيقه ، ولكن حذار أن  
يكون هذا العطاء لأجل الحفظ .

لأن يد الحياة وحدها تستطيع أن تحتفظ بقلوبكم .  
قفوا معاً ولكن لا يقرب أحدكم من الآخر كثيراً :  
لأن عمودى الهيكل يقفان منفصلين ،  
والسنديانة والسروة لا تنمو الواحدة منهما في ظل رفيقتها .  
ثم دنت منه امرأة تحمل طفلها على ذراعيها وقالت له  
هات حدثنا عن الاولاد .

فقال :

ان اولادكم ليسوا اولاداً لكم .







انهم ابناك وبنات الحياة المشتاقة الى نفسها ، بكم يأتون  
الى العالم ولكن ليس منكم ؛

ومع أنهم يعيشون معكم فهم ليسوا ملكاً لكم .  
أنتم تستطيعون أن تمنحوهم محبتكم ، ولكنكم لا تقدرون  
أن تفرسوا فيهم بذور أفكاركم ، لأن لهم أفكاراً خاصة بهم .  
وفي طاقتكم أن تضعوا المساكن لأجسادهم ،  
ولكن نفوسهم لا تقطن في مساكنكم ،  
فهي تقطن في مسكن الغد ، الذي لا يستطيعون أن  
تزرروه ولا في أحلامكم .

وان لكم ان تجاهدوا لكي تصيروا مثلهم ،  
ولكنكم عبيثاً تحاولون أن تجعلوهم مثلكم .  
لأن الحياة لا ترجع الى الوراء ، ولا تذل لها الإقامة  
في منزل الامس .

أنتم الأقواس وأولادكم سهام حية قد رمت بها الحياة  
عن أقواسكم .

فان رامى السهام ينظر العلامة المنصوبة على طريق  
اللانهاية ، فيلويكم بقدرته لكي تكون سهامه سريعة  
بعيدة المدى .

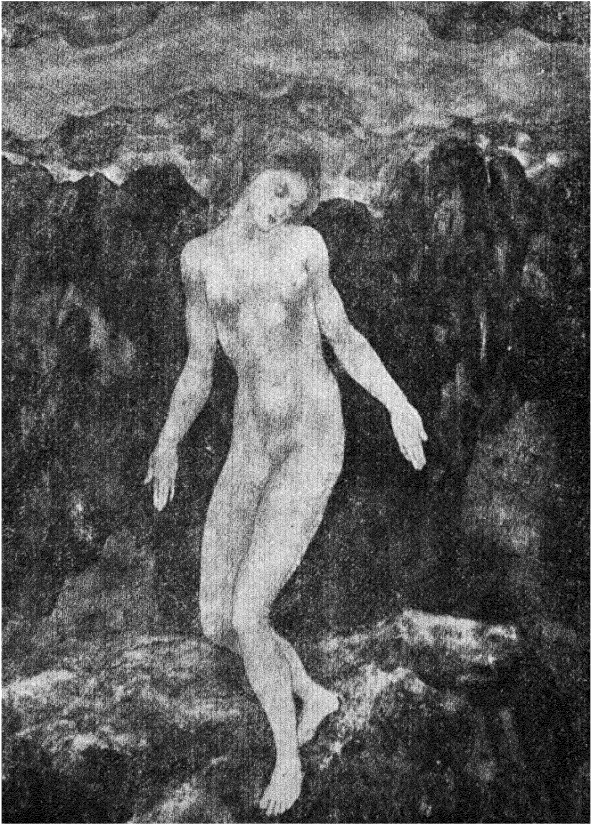
لذلك فليكن التواؤم بين يدي رامى السهام الحكيم  
لأجل المسرة والغبطة :

لأنه كما يجب السهم الذى يطير من قوسه ، هكذا  
يجب القوس التى تثبت بين يديه .

ثم قال له رجل غنى ، هات حدثنا عن العطاء .  
فأجاب قائلاً :

انك اذا اعطيت فانما تعطى القليل من ثروتك .  
ولكن لا قيمة لما تعطيه مالم يكن جزءاً من ذاتك .  
لانه أى شىء هى ثروتك ؟

أليست مادة فانية تخزنها فى خزائنك وتحافظ عليها  
جهدك خوفاً من أن تحتاج اليها غداً ؟  
والغد ، ماذا يستطيع الغد أن يقدم للكاب البالغ الفطنة



28 isis



الذى يطمر العظام فى الرمال غير المطروقة وهو يتبع الحجاج  
الى المدينة المقدسة ؟

أوليس الخوف من الحاجة هو الحاجة بعينها ؟  
أم ليس الظمُّ الشديد للماء عندما تكون برُّ الظامى  
ملاآنة هو العطشُ الذى لا تروى غلته ؟

\*  
\* \*

من الناس مَنْ يعطون قليلاً من الكثير الذى عندهم—  
وهم يعطونه لاجل الشهرة ، ورغبتهم الخفية فى الشهرة الباطلة  
تضيع الفائدة من عطاياهم .

ومنهم من يملكون قليلاً ويعطونه بأسره .  
ومنهم المؤمنون بالحياة وبسخاء الحياة ، هؤلاء لا تفرغ  
صناديقهم وخزائنهم ممتلئة أبداً .

ومن الناس من يعطون بفرح ، وفرحهم مكافأة لهم .  
ومنهم من يعطون بالملء ، وألمهم معمودية لهم .  
وهنالك الذين يعطون ولا يعرفون معنى اللألم فى عطاياهم ،

ولا يتطلبون فرحاً ، ولا يرغبون في اذاعة فضائلهم ؛  
هؤلاء يعطون مما عندهم كما يعطى الريحان عبيره العطر  
في ذلك الوادى .

بمثل أيدي هؤلاء يتكلم الله ، ومن خلال عيونهم  
يبتسم على الأرض .

\*  
\* \*

جميل أن تعطى من يسألك ما هو في حاجة إليه ،  
ولكن أجمل من ذلك أن تعطى من لا يسألك وأنت  
تعرف حاجته ؛ فان من يفتح يديه وقلبه للعطاء يكون له  
فرحٌ بسعيه الى من يتقبل عطاياه والاهتداء اليه أعظم مما  
بالعطاء نفسه .

وهل في ثروتك شىء لا تقدر ان تستبقيه لنفسك ؟  
فان كل ما تملكه اليوم سيتفرق ولا شك يوماً ما ،  
لذلك أعط منه الآن ، ليكون فصل العطاء من  
فصول حياتك أنت دون ورثتك .

\*  
\* \*

وقد طالما سمعتك تقول متبجحاً ، « انى أحب ان  
أعطى ، ولكن المستحقين فقط . »

فهل نسيت يا صاح ، ان الاشجار فى بستانك لاتقول  
قولك ، ومثابها القطعان فى مراعيك ؟

فهى تعطى لكى تحيا ، لانها اذا لم تعطِ عرضت حياتها  
لاتهلكة .

الحق اقول لك ، ان الرجل الذى استحق ان يقتبل  
عطية الحياة ويتمتع بايامه ولياليه ، هو مستحق لكل  
شئ منك .

والذى قد استحق ان يشرب من اوقيانوس الحياة  
يستحق ان يملأ كأسه من جدولك الصغير .

لانه اى صحراء اعظم من الصحراء ذات الجراءة  
والجسارة على قبول العطية بما فيها من الفضل والمنة ؟

وانت ، من أنت ، حتى ان الناس يجب ان يمزقوا  
صدورهم ويحسروا القناع عن شهادتهم وعزة نفوسهم لكى

ترى جدارتهم لعطائك عارية وانفتهم مجردة عن الحياء ؟  
فانظر اولاً هل انت جدير بان تكون معطاءً ، وآلة  
العطاء

لان الحياء هي التي تعطى للحياة ، — في حين انك ،  
وانت الفخور بان قد صدر العطاء منك ، — لست بالحقيقة  
سوى شاهد بسيط على عطائك .

\*  
« \*

أما انتم ، الذين يتناولون العطاء والاحسان ، — وكلكم  
منهم ، — فلا تتظاهروا بثقل واجب معرفة الجميل ، لئلا  
تضعوا بايديكم نيراً ثنيل الحمل على رقابكم ورقاب الذين  
اعطوكم .

بل فلتكن عطايا المعطي أجنحة ترتفعون بها معه :

لانكم اذا اكثرتم من الشعور بما انتم عليه من الدين ،  
فانكم بذلك تظهرون الشك والريبة في اريحية المحسن الذي  
الارض السخية امه ، والرب الكريم ابوه .



وبعد ذلك جاء اليه فندي شيخ وقال له ، هات حدثنا  
عن الماء كل والمشرب .  
فاجاب قائلاً :

اود لو انك تقدر أن تعيش على عبير الأرض ،  
تكتفي بالنور كنباتات الهواء .  
غير انك مضطر أن تقتل لتعيش ، وان تسرق المولود  
الصغير من حضن امه مختطفاً حليبها لتبريد ظمائك ،  
لذلك فليكن عملك مظهرا من مظاهر العبادة .  
ولتكن مائدتك مذبحاً تقربُ عليه التقادمُ النقية  
الطاهرة من الحقول والسهول ضحيةً لما هو اكثر منها نقاوةً  
في اعماق الانسان .



وإذا ذبحتَ حيواناً فقل له في قلبك .  
« ان القوة التي امرت بذبحك ، ستدبجني نظيرك ،

« وعند ما تحين ساعتى ساحتق مثلك .  
« لان الشريعة التى اسلمتك الى يديّ ، ستسلمنى الى  
يديّ من هو اقوى منى .  
« وليس دمك ودمى سوى عصارة قد أعدت منذ  
الأزل غذاءً لشجرة السماء . »



« واذا نهست تفاحةً . باسنانك . فقل لها فى قلبك ،  
« ان بزوركِ ستعيش فى جسدى .  
« والبراعم التى ستخرج منها فى الغد ستزهر فى قلبى ،  
« وستصاعد عبيركِ مع انفاسى ،  
« وسأفرح معكِ فى جميع الفصول . »



« واذا قطفت العنبَ من كرومك فى ايام الخريف ،  
« وحملتهُ الى المعصرة ، فقل لهُ فى قلبك ،  
« انا كرمة مثلك ، وستجمع اثمارى وتحمل الى المعصرة ،

« وسيضعونني كالخمر الجديدة في زقاقٍ جديدة . »  
وعند ما تستقي الخمر من زقاقها في أيام الشتاء ، أنشد  
في قلبك انشودة لكل كأس تشربها ،  
وليكن لك من اناشيدك اجمل التذكارات لأيام  
الخريف وللكرمة والمعصرة .

ثم جاء اليه فلاحٌ وقال له ، هات حدثنا عن العمل .  
فاجاب قائلاً :

انكم تشتغلون لكي تجاروا الارض ونفس الارض  
في سيرها .

لان الكسول غريبٌ عن فصول الأرض ، وهائمٌ  
لايسير في موكب الحياة ، السائرة بعظمة وجلال في فضاء  
اللانهاية الى غير المتناهي .



فاذا اشتغلت فما انت سوى مزار تحتلج في قلبك  
مناجاة الايام فتتحول الى موسيقى خالدة .

ومن منكم يودّ ان يكون قصبةً خرساء صماء ، وجميع  
ماحولها يترنم معاً بانغام متفقتة ؟

\*  
\*  
\*

قد ظلما أخبرتم ان العمل لعنة ، والشغل نكبة ومصيبة .  
أما انا فاقول لكم انكم بالعمل تحققون جزءاً من حلم  
الارض البعيد ، جزءاً أُخِصَّ لكم عند ميلاد ذلك الحلم ،  
فاذا واظبتم على العمل النافع تفتحون قلوبكم بالحقيقة  
لمحبة الحياة .

لأنّ من احب الحياة بالعمل النافع تفتح له الحياة اعماقها ،  
وتُدْنِيهِ من أبعد اسرارها .

\*  
\*  
\*

ولكن اذا كنتم وأنتم في الآلام تدعون الولادة  
كآبة ، ودعامة الجسد لعنة مكتوبة على جباهكم ، فاني  
الحق أقول لكم أنه ما من شيء يستطيع أن يمحو هذه  
الكتابة ويغسل جباهكم من آثارها سوى سعيكم وجهادكم .

\*  
\*  
\*

وقد ورثتم عن جدودكم القول إن الحياة ظلمة ، فرحتم  
في عهد مشقتكم ترددون ما قاله قبلكم جدودكم المزعجون .  
فالحق أقول لكم إن الحياة تكون بالحقيقة ظلمة حالكة  
إذا لم ترافقها الحركة .

الحركة تكون عمياء لا بركة فيها ان لم ترافقها المعرفة ،  
والمعرفة تكون عقيمة سقيمة ان لم يرافقها العمل ،  
والعمل يكون باطلا وبلا ثمر ان لم يقترن بالمحبة . لأنكم  
إذا اشتغلتكم بمحبة فانما تربطون أنفسكم وأفرادكم بعضها ببعض ،  
وترتبطون كل واحد منكم بربه .

\*  
\*  
\*

وما هو العمل المقرون بالمحبة ؟  
هو أن تحوِّك الرداءَ بخيوط مسحوبة من نسيج قلبك  
مفكراً أن حبيبك سيرتدي ذلك الرداء .  
هو أن تبني البيت بججارة مقطوعة من مقلع حنانك  
واخلاصك مفكراً أن حبيبك سيقطن في ذلك البيت .

هو أن تبذر البذور بدقة وعناية ، وتجمع الحصاد بفرح  
ولذة كأنك تجمعه لكي يقدم على مائدة حبيبك .  
هو أن تضع في كل عمل من اعمالك نسمة من روحك ،  
وتثق بأن جميع الاموات الاطهار محيطون بك يراقبون  
ويتأملون .

\*  
\* \*

وكثيراً ما كنت أسمعكم تناجون أنفسكم . كأنكم  
في نوم عميق . قائلين : « ان الذي يشتغل بنحت الرخام فيوجد  
مثالاً محسوساً لنفسه في الحجر الأصم هو أشرف من الفلاح  
الذي يحرق الأرض .

والذي يستعير من قوس قزح الواناً يحول بها قطعة  
النسيج الحقيمة الى صورة انسان ، هو أفضل من الاسكاف  
الذي يصنع الأحذية لأقدامنا .

ولكنني أقول لكم . لا في نوم الليل ، بل في يقظة  
الظهيرة البالغة ، ان الريح لا تخاطب السنديانة الجبارة بلهجة  
أحلى من اللهجة التي تخاطب بها أحقر اعشاب الارض :

والعظيم العظيم ذاك الذى يحول هينمة الريح الى انشودة  
تزيدها محبته حلاوة وعذوبة .



أجل ، ان العمل هو الصورة الظاهرة للمحبة الكاملة .  
فاذا لم تقدر أن تشتغل بمحبة وكنت متضجراً ملولاً ،  
فالا جدر بك أن تترك عملك وتجلس على درجات الهيكل  
تلمس صدقة من العملة المشتغلين بفرح وطمانينة .

لأنك اذا خبزت خبزاً وأنت لا تجد لك لذة فى عملك ،  
فانما أنت تخبز خبزاً علقماً لا يشبع سوى نصف مجاعة الانسان  
واذا تدمرت وأنت تعصر عنبك ، فان تدمرك يدس  
لك سماً فى الحمرة المستقطرة من ذلك العصير .

وان انشدت أناشيد الملائكة ، ولم تحب أن تكون  
منشداً ، فانما أنت تصم آذان الناس بانغامك عن الاصغاء  
الى أناشيد الليل وانشيد النهار .

ثم قالت له امرأة ، هات لنا شيئاً عن الفرح والترح

فاجاب وقال :

ان فرحكم هو ترحككم ساخراً .

والبئر الواحدة التى تستقون منها ماءً ضحككم قد طالما

ملئت بسخين دموعكم .

وهل فى الامكان ان يكون الحال على غير هذا المنوال ؟

فكلما أعمل وحش الحزن انيابهُ فى أجسادكم ، تضاعف

الفرحُ فى اعماق قلوبكم .

لانهُ ليست الكاس التى تحفظ خمرتكم هى نفس

الكأس التى أحرقت فى آتون الخزاف قبل ان بلغت اليكم ؟

ام ليست القيثارة التى تريد فى طمأنينة ارواحكم هى

نفس الخشب الذى قطع بالمدى والفؤوس ؟

فاذا فرحتم فتأملوا ملياً فى اعماق قلوبكم تجدوا أن

ما أحرزكم قبلاً يفرحكم الآن .

واذا احاطت بكم جيوش الكآبة فارجعوا ببصائرکم

ثانيةً الى اعماق قلوبكم وتاملوا جيداً ، تروا هنالك بالحقيقة



انكم تبكون لما كنتم تعتقدون أنه غاية مسراتكم على الارض .

\*  
\*\*

ويخيل الى ان فريقاً منكم يقول ، « ان الفرح اعظم من الترح ، » فيعارضه فريق آخر قائلاً ، « كلا ، بل الترح أعظم من الفرح . »

أما انا فالحق اقول لكم . « انهما توأمان لا ينفصلان . يأتيان معاً ويذهبان معاً ، فاذا جلس احدهما منفرداً الى مائدتك ، فلا يغرب عن اذهانكم ان رفيقه يكون حينئذ مضطجماً على أسر تكم . »

\*  
\*\*

اجل ، انكم بالحققة معلقون ككفتى الميزان بين ترحكم وفرحكم .

وانتم بينهما متحركون ابدأ ، ولا تقف حركتكم الا اذا كنتم فارغين في اعماقكم

فاذا جاء أمين خزائن الحياة يرفعكم لكي يزن ذهبه  
وفضته ، فلا ترتفع كفة فرحكم ولا ترجح كفة ترحمكم .  
بل تثبتان على حالة واحدة .

حينئذ دنا منه بناء وقال له هات حدثنا عن البيوت .  
فأجاب وقال :

ابن من خيالك مظلة في الصحراء قبل أن تبنى بيتاً  
في داخل اسوار المدينة .

لأنه كما أن لك بيتاً مقبلاً في شفق حياتك ، كذلك  
للغريب الهائم فيك بيت كبيتك .  
ان بيتك هو جسدك الأكبر .

ينمو في حرارة الشمس وينام في سكونة الليل : وكثيراً  
ما ترافق نومه الأحلام . أفلا يحلم بيتك ؟ وهل يترك الحلم  
المدينة ويسير الى الغابة أم الى راس التلة ؟

أوه لو استطيع أن اجمع بيوتكم بيدي ، فابددها  
في الاحراج والرياض كما يبذر الزارع زرعه في الحقول .

أودّ لو كانت الاودية شوارع لكم ، ومسالك التلال  
الخضراء أزقة تطرقها أقدامكم عوضاً عن أزقتكم وشوارعكم  
القدرة، وياليتكم تشدون بعضكم بعضاً بين الدوالي والكروم  
ثم تمودون حاملين عطر الارض في طيات أثوابكم .  
ولكن هذه جميعها تمنيات لم تحن ساعتها بعد .

لأن آباءكم وجدودكم إذ خافوا عليكم الضياع والضلال  
جمعوكم معاً لكي تكونوا قريبين بعضكم من بعض . وسيبقى  
هذا الخوف مجمعاً لكم زمناً بعد . وستظل اسوار المدينة  
فاصلة مواقدكم عن حقولكم ، ولكن الى حين .

\*  
\* \*

بربكم اخبروني ، يا ابناء أورفليس ، ماذا تملكون  
في هذه البيوت ؟ وأى شيء تحتفظون به في داخل هذه  
الابواب المرصدة ؟

هل عندكم السلام . وهو القوة الصامتة التي تظهر ذاتكم  
الشديدة العزم المستترة في أعماقكم ؟

هل عندكم التذكريات ، وهي القناطر اللامعة التي تصل  
قننَ الفكر الانساني بعضها ببعض ؟

هل عندكم الجمال ، الذين يرتفع بالقلب من مصنوعات  
الخشب والحجارة الى الجبل المقدس ؟

بربكم اخبروني ، هل عندكم كل هذا في بيوتكم ؟

أم عندكم الرفاهية فقط ، والتحرق للرفاهية المزوج  
بالطمع ، الرفاهية التي تدخل البيت ضيفاً ، ثم لا تلبث ان  
تصير مضيفاً ، فسيداً عاتياً عنيفاً ؟

ثم تتحول الى راض جبار يتقلد السوط يمينه والكأب  
يساره متخذاً رغباتكم الفضلى العوبة يتلها بها .

ومع أن بنان هذه الرفاهية حريرى الملمس فإن قلبها  
حديدي صلد .

فهي تهدي من حدتكم لى تناموا ، ثم تقف امام  
أسرتكم هازئة بكم وبجلال اجسادكم .

تضحك من حواسكم المدركة ، وتطرح بها بين

الاشواك كأنها أوعية سهلة الانكسار .

لان التحرق للرفاهية ينجر اهواء النفس في كبدها  
فيرديها قتيلة ، ثم يسير في جنازتها فاغراً شديده مرغياً من بدأ .

\*  
\* \*

اما انتم ، يا ابناء الفضاء ، العائشين في الراحة والنعيم  
وغير المستريحين ، فانكم لن تؤخذوا بالاشراك ولن يقدر  
رائض على ترويضكم .

لأن بيتكم لن يكون مرساة ولكنه سيكون سارية .  
كلا ، ولن يكون غشاءً براقاً تغطي به الجراح ، بل  
جفنًا تحفظ به العين .

وانتم لن تطووا اجنحتكم لكي تستطيعوا ان تدخلوا  
من الابواب ، ولن تحنوا رؤوسكم لثلا تنطح السقف ،  
كلا ، ولن تخشوا ان تتنفسوا خوفاً من ان تقوض اساسات  
الجدران وتسقط على الارض .

اجل ، ولن تقطنوا في القبور التي بناها ابناء الموت  
لابناء الحياة .

ومع كل ما يزين منازلكم من الجلال والجمال فانها لن  
تستطيع ان تحتفظ بسرکم او ان تؤاوى حنينکم :

لان غير المحدود فيکم يقطن في منزل السماء ، الذى  
بوابته سُحابة الصباح ونوافذه سُكون الليل وأناشيدهُ .

ثم قال لهُ الحائك ، هات حدثنا عن الثياب .  
فاجاب قائلاً :

ان ثيابکم تحجب الكثير من جمالکم ، ولكنها لاتستر  
غير الجميل .

ومع انکم تشدون بثيابکم حرية التستر والانفراد ،  
فانها تقيدکم وتستعبدکم .

وياليت في وسعکم ان تستقبلوا الشمس والريح بثياب  
بشركم عوضاً عن ثياب مصانعکم ،

لان انفاَس الحياة في أشعة الشمس ، ويد الحياة تسيرُ  
مع مجارى الرياح .



يقول بعض منكم ، « ان الريح الشمالية دون غيرها ،  
قد حاكت الثياب التي نلبسها . »

وانا اقول لكم ، نعم ، ان الريح الشمالية قد فعلت ذلك ،  
ولكن العار كان نولاً لها ، ولدونة العضلات كانت لها خيطاً .  
وعند ما فرغت من عملها ضحكت منكم وهي تعصف  
في قلب الغاب .

ولكن لا يغرب عن اذهانكم ان الحشمة هي ترسٌ منيعٌ  
متين للوقاية من عيون المدنسين .

فاذا زال المدنسون من الوجود ، أفلا تصير الحشمة  
قيداً للفكر وتلويناً له في حماة العبودية ؟

لذلك ضعوا نصب عيونكم ان الارض تبتهجُ بلامسة  
أقدامكم العارية ، والرياح تتوق الى ملاعبة شعورك المسترسلة .  
ثم دنا منه تاجرٌ وقال له ، هات حدثنا عن البيع  
والشراء .

فاجاب وقال :

ان الارض تقدم لكم ثمارها ، ولو عرفتم كيف تملأون  
أيديكم من خيراتها لما خبرتم طعم الحاجة في حياتكم .  
لانكم بغير مبادلة عطايا الارض لن تجدوا وفراً من  
الرزق ولن يشبع جشعكم .  
فيجدر بكم أن تتموا هذه المقايضة بروح المحبة والعدالة ،  
والا فانها تؤدي بالبعض منكم الى الشراهة وبغيرهم الى الطمع  
والجماعة .



واذا ذهبتم الى ساحة المدينة ايها الدائبون في خدمة  
البحر والحقول والكروم فاجتمعوا بالحما كذواخرافين وجامعي  
الحنوط والطيوب ، -  
واضرعوا في تلك الساعة الى الروح المتسلطة على الارض ،  
ان تحلّ عليكم وتبارك مقاييدكم وموازينكم التي تُعيّنون بها  
مقدار ما تجرى عليه مقايضاتكم .  
ولا تأذنوا لذوى الايدي العقيمة من ذوى البطالة ان



يشتركوا في معاملاتهم ، لانه لاشي لهم يتاجرون به سوى  
أقوالهم التي يبيعونها لكم بأعمالكم .  
بل قولوا الامثال هؤلاء ،

« تعالوا معنا الى الحقل ، او فاذهبوا مع اولادنا الى  
البحر وألقوا هنالك شباكم ،  
لان الارض والبحر يجودان عليكم ، متى عملتم ، كما يجودان  
علينا . »



وان جاءكم المغنون والراقصون والمازفون ، —  
فاشترخوا من عطاياهم ولا ترفضوهم .  
لانهم يجمعون الاممار والمطور نظيركم ، ومع ان  
ما يقدمونه لكم مصنوع من مادة الاحلام فانه اجل كساء  
وافضل غذاء لنفوسكم .



وقبل ان تبحروا ساحة المدينة اظروا ألا ينصرف  
احدٌ منها فارغ اليدين .

لان الروح السيدة فى الارض لا تنام بطمأنينة وسلام  
على تموجات الرياح حتى تشاهد بعينها ان الصغير فيكم ، قد  
نال كالكبير بينكم ، كل ما هو فى حاجة اليه .

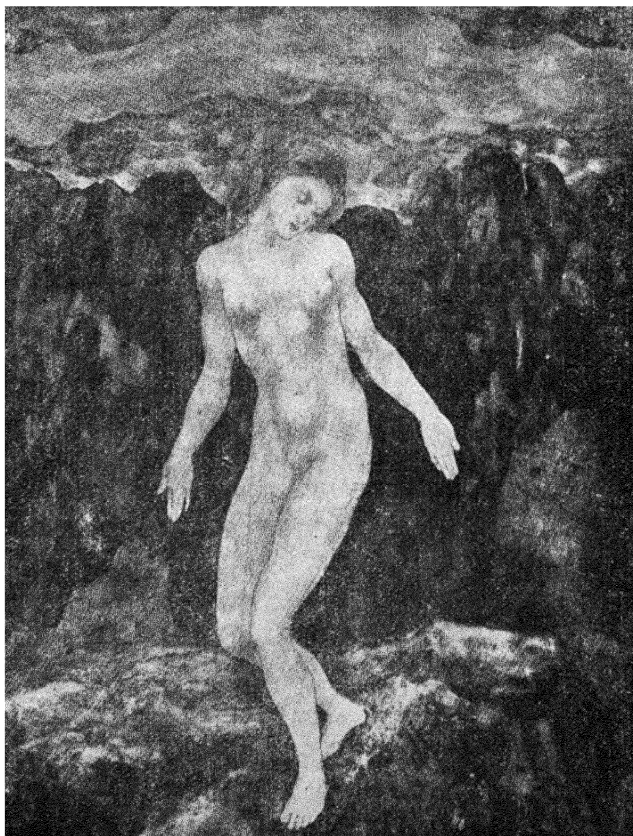
حينئذ وقف احد قضاة المدينة وقال له ، هات لنا خطبة  
فى الجرائم والعقوبات .

فاجاب وقال :

عند ما تسير ارواحكم هائمة فوق الرياح ،  
وتمسون منفردين ، ليس لكم من يقيمكم طوارىء

السوء ،

حينئذ تقترفون الائم ضد غيركم وضد أنفسكم  
ولاجل ذلك الائم الذى تقترفونه يجب ان تقرعوا  
برهةً وتنتظروا على بوابة القدوس .





فان ذاتكم الالهية بحرٌ عظيم ،  
كانت تقيه منذ الازل وستظل تقيه الى آخر الدهور .  
وهي كالايثر لا ترفع الا ذوى الاجنحة .  
أجل ، ان ذاتكم الالهية كالشمس ،  
لا تعرف طرق المناجذ<sup>(١)</sup> ، ولا تمبأ بأوكار الأفاعي .  
غير انها لا تقطن وحيدة في كيانكم .  
لان كثيراً منكم لا يزال بشراً ، وكثيراً غيره لم يصر  
بشراً بعد ، بل هو مسخٌ لا صورة له يسير غافلاً في الضباب  
وهو ينشد عهد يقطته .  
فلا أود أن احدثكم الآن الآن هذا الانسان فيكم .  
لان هذا الانسان - دون ذاتكم الالهية ودون المسخ  
الهائم في الضباب - ، هو الذى يعرف الجرائم والعقوبات  
على الجرائم في كيانكم .

\* \* \*

قد طالما سمعتكم تتخاطبون فيما بينكم عنم يقترف

(١) مناجذ جمع خلد من غير لفظه

أثماً كأنه ليس منكم ، بل غريب عنكم ودخيل فيما بينكم  
ولكننى الحق أقول لكم ، كما ان القديس والبار  
لا يستطيعان ان يتساميا فوق الذات الرفيعة التى فى كل منكم ،  
هكذا الشرير والضعيف لا يستطيعان ان ينحدرا الى  
أدنى من الذات الدنيئة التى فى كل واحد منكم .

وكما ان ورقة الشجر الصغيرة لا تستطيع ان تحول لونها  
من الخضرة الى الصفرة الا بارادة الشجرة ومعرفها الكامنة  
فى اعماقها ،

هكذا لا يستطيع فاعل السوء بينكم ان يقترف أثماً  
بدون ارادتكم الخفية ومعرفتكم التى فى قلوبكم .  
فانكم تسرون معاً فى موكب واحد الى ذاتكم  
الالهية .

أنتم الطريق وانتم المطرقون .  
فاذا عثر احدٌ منكم فانما تكون عثرتهُ عبرةً للقادمين  
وراءهُ فيجتنبون الحجر الذى عثر به .

اجل ، وتكون عثرته توييخاً للذين يسرون أمامه  
باقدام سريعة ثابتة لانهم لم ينقلوا حجر العثار من طريقه .

\*  
\* \*

واليكم يا ابناء اورفليس هذه الكلمة التي ، وان حلت  
ثقيلة على قلوبكم ، فهي الحقيقة بعينها :  
ان القتل ليس بريئاً من جريمة القتل ،  
وليس المسروق بلا لوم في سرقة ،  
لا يستطيع البار ان يتبرأ من اعمال الشرير ،  
ولا الطاهر النقي اليدين برىء الذمة من قذارة المدنسين .  
كثيراً ما يذهب المجرم ضحية لمن وقع عليه جرمه ،  
كما يغلب ان يحمل المحكوم عليه الاثقال التي كان يجب  
ان يحملها الأبرياء وغير المحكومين .

لذلك لا تستطيعون ان تضعوا احداً يفصل بين الاشرار  
والصالحين او الابرياء والمذنبين ،

لانهم يقفون معاً أمام وجه الشمس ، كما ان الخيط

الاييض والخييط الاسود يُنسجان معاً في نولٍ واحد .  
فاذا انقطع الخييط الاسود ، ينظر الحائك الى النسيج  
باسره ، ثم يرجع الى نوله يفحصه وينظفه .

\*  
\* \*

لذلك اذا جاء أحدكم بالزوجة الخائنة الى المحاكمة ،  
فليزن أولاً قلب زوجها بالموازين ، وليقس نفسه بالمقاييس .  
وكل من شاء ان يلطم المجرم بيمينه يجدر به أولاً ان  
يُنظر ببصيرة ذهنه الى روح من أوقع الجرم عليه .  
وان رغب احدكم منكم في ان يضع الفأس على أصل  
الشجرة الشريرة باسم العدالة ، فليُنظر اولاً الى اعماق  
جذورها ،

وهو لا شك واجد ان جذور الشجرة الشريرة وجذور  
الصالحة ، الثمرة وغير المثمرة ، كلها مشتبكة معاً في قلب  
الأرض الصامت .

أما انتم ايها القضاة الذين يريدون ان يكونوا ابراراً ،



اي نوع من الاحكام تصدرون على الرجل الامين بجسده  
السارق بروحه؟

أم أي عقاب تنزلون بذلك الذي يقتل الجسد مرة  
ولكن الناس يقتلون روحه ألف مرة؟

وكيف تطاردون الرجل الذي مع انه خداع ظالم  
بأعماله، فهو موجع القلب، ذليل، مهان بروحه؟

\*  
\*\*

اجل، كيف تستطيعون ان تعاقبوا الذين لهم من  
توبيخ ضائرهم، وهو اعظم من جرائمهم، أكبر قصاص على  
الارض؟

ليس توبيخ الضمير هو نفسه العدالة التي تتوخاها  
الشريعة التي تتظاهرون بخدمتها؟

فانتم لا تستطيعون ان تسكبوا بلسم توبيخ الضمير  
في قلوب الابرياء، كما انكم لا تقدر ان تنزعه من قلوب  
الاشقياء.

فهو يأتى لذاته في ساعة من الليل لا ننتظرها ، داعياً  
الناس الى النهوض من غفلتهم ، والتأمل في حياتهم وما فيها  
من التعدييات والمخالفات .

وانتم ، ايها الراغبون في سبر غور العدالة ، كيف  
تقدرون ان تدركوا كنهها ان لم تنظروا الى جميع الاعمال بعين  
اليقظة في النور الكامل ؟

في مثل هذا النور تعرفون ان الرجل المنتصب والرجل  
الساقط على الارض هما بالحقيقة رجل واحد واقف في الشفق  
بين ليل ذاته المسوخة ونهار ذاته الالهية ،  
وان حجر الزاوية في الهيكل ليس باعظم من الحجر الذي  
في أسفل اساساته .

ثم قال له مُشترِع ، وماذا تعتقد بشرائعنا أيها المعلم ؟  
فأجاب قائلاً :

انكم تستلذون أن تضعوا شرائع لا تفسكم  
بيد انكم تستلذون بالأكثر أن تكسروها وتعدوا

فرأضها .

لذلك أنتم كالأولاد الذين يلعبون على الشاطئ —  
يبنون أبراجاً عظيمة من الرمل بصبر وثبات ، ثم لا يلبثون  
أن يهدموها ضاحكين صاخبين

فمنذ ما تبنون أبراجكم الرملية ، يأتي البحر برمال  
جديدة إلى الشاطئ .

وعند ما تهدمون أبراجكم يضحك البحر منكم في نفسه  
لأن البحر يضحك من الأبرياء أبداً .

\*  
\*\*

ولكن ماذا أقول في من ليست الحياة بمرآة في عقيدتهم  
بل ليست الشرائع التي تسنها حكمة الانسان البالغة أبراجاً  
من الرمال فحسب .

أولئك الذين يحسبون أن الحياة صخرة صلبة ؛ وأن  
الشرعية ازميلٌ حادٌ يأخذونه بأيديهم لكي ينحتوا هذه  
الصخرة على صورتهم ومثالهم ؟

وماذا أقول في المقعدين الذين يكرهون الراقصين ؟

وفي الثور الذي يحب نيره<sup>١</sup> ويتهم الوعل والابل والظبي  
أنها حيوانات متردة ناشزة ؟

وفي الأفعى العتيقة الأيام التي لا تستطيع أن تخلع  
جلدها ، ولذلك تنبرى مهمة جميع الحيوانات بالعرى وقلة  
الحياء ؟

وفي ذلك الذي يسبق غيره<sup>٢</sup> إلى وليمة العرس ؛ وعندما  
يملاً جوفه<sup>٣</sup> من الأطعمة ويبلغ حده<sup>٤</sup> من النهم والشرافة  
يترك الوليمة ويذهب في طريقه قائلاً ان جميع الولايم مخالفات  
للناموس وجميع الذين يجتمعون إليها متعدو<sup>٥</sup> الشريعة ؟

\*  
\* \*

ماذا أقول في أمثال هؤلاء ؟ إنهم كجميع الناس يقفون  
في أشعة الشمس ، ولكنهم يؤكئون الشمس ظهورهم ؟  
فهم لذلك لا ينظرون سوى ظلالهم ، وظلالهم هي  
عند التحقيق شرائعهم المقدسة .

وهل الشمس في اعتقادهم سوى منشأ الظلال ؟

وهل اعترفهم بالشريعة سوى أنهم ينحنون ويطأطئون  
رؤوسهم لكي يستقصوا ظلالهم على الأرض ؟  
أما أنتم ، الذين يمشون وهم يحدقون الشمس بأجفان  
غير مرتعشة . فهل في الأرض من صورة تستطيع أن  
تستوقفكم هنيئة ؟

وأنتم ، المسافرين مع الريح ، أية صفحة من الصفحات  
الدالة على مجارى الرياح تقدر أن تقودكم في مسالككم ؟  
وماهى الشريعة البشرية التى تفيدكم إذا كنتم لم تحطموا  
نيركم على باب سجن من سجون الانسان .

وأية شرائع ترهبون إذا كنتم ترقصون ولكنكم  
لا تغترون بقيد من قيود العالم الحديدية ؟

ومن هو الرجل الذى يستطيع أن يأتى بكم إلى المحاکمة  
إذا مزقتم أثوابكم ولكنكم لم تضعوها فى طريق أحد  
من الناس ؟

أجل يا أبناء أورفليس ، انكم تستطيعون أن تخدموا  
صوت الطبل ، وتحلوا أوتار القيثارة ، ولكن مَنْ مِنْ  
أبناء الانسان يستطيع أن يمتع قبيرة السماء عن الغناء ؟  
ثم قال له خطيبٌ ، هات حدثنا عن الحرية ؟  
فأجاب وقال :

قد طالما رأيتمكم ساجدين على ركبتكم أمام أبواب  
المدينة والى جوانب المواقد تعبدون حريتمكم  
وأنتم بذلك أشبه بالعبيد الذين يتدللون أمام سيدهم  
السوف الجبار يمدحونه وينشدون له وهو يعمل السيف  
فى رقابهم .

نعم ، وفى غابة الهيكل ، وظل القلعة ، كثيراً مارأيتُ  
أشدكم حرية يحمل حريته كغير ثقيل لعنقه وغل متين ليديه  
ورجليه .

رأيت كل ذلك فذاب قلبي فى أعماق صدرى ، ونزفت  
دماؤه ، لأنكم لا تستطيعون أن تصيروا أحراراً حتى تتحول

رغبتم في السمي وراء الحرية الى سلاح تتسلحون به ،  
وتنقطعوا عن التحدث بالحرية كفايتكم ومحجتكم .



انكم تصيرون أحراراً بالحقيقة اذا لم تكن أيامكم بلا  
عمل تملونه ولياليكم بلا حاجة تفكرون بها ، أو كآبة  
تألمون لذكراها ،

بل تكونون أحراراً عند ما تنطق هموم الحياة وأعمالها  
أحقاءكم بمنطقة الجهاد والعمل ، وتثقل كاهلكم بالمصاعب  
والمصائب ولكنكم تنهضون من تحت أثقالها عراة  
طليقين .

لأنكم كيف تستطيعون أن ترتفعوا الى ما فوق  
أيامكم ولياليكم اذا لم تحطوا بالسلاسل التي أنتم أنفسكم  
في فجر ادراككم قيدتم بها ساعة ظهركم الحرّة ؟  
ألا ان ما تسمونه حرية انما هو بالحقيقة أشد هذه

السلاسل قوة ، وان كانت حلقاته تلمع في نور الشمس وتخطف  
أبصاركم .



وماذا يجدر بكم طرحه عنكم لكي تصيروا أحراراً  
سوى كسر صغيرة رثة في ذاتكم البالية ؟

فان كانت هذه الكسر شريعة جائزة وجب نسخها ،  
لأنها شريعة سطرها يمينكم وحفرتها على جبينكم .

بيد أنكم لا تستطيعون أن تمحوها عن جباهكم باحراق  
كتب الشريعة التي في دواوينكم ؛ كلا ، ولا يتم لكم  
ذلك بغسل جباه قضاتكم . ولو سكبتم عليها كل ما في  
البحار من المياه

وان كانت طاغية تودون خلعها عن عرشه ، فانظروا  
أولاً ان عرشه القائم في أعماقكم قد تهدم .

لأنه كيف يستطيع طاغية أن يحكم الأحرار



المفتخرين ، ما لم يكن الطغيان أساساً لحرمتهم والعار قاعدة  
لكبريائهم؟

وان كانت هما ترغبون في التخلص منه فان ذلك الهم  
انما اتم اخترتموه ولم يضعه احدٌ عليكم  
وان كانت خوفاً تريدون طردهُ عنكم ، فان جرثومة  
هذا الخوف مغروسة في صميم قلوبكم وليست في يدي من  
تخافون .



الحق أقول لكم ، أن جميع الأشياء تتحرك في كياناتكم  
متعانقة على الدوام عناقاً نصفياً . كل ما تشتهون وما تخافون ،  
ما تتعشقون وما تستكرهون ، ما تسعون وراءه وما  
تهربون منه .

جميع هذه الرغبات تتحرك فيكم كالأنوار والظلال  
فاذا اضمحل الظل ولم يبق له من أثر ، أمسى النور  
المتلألئ ظلاً لنور آخر سواه

وهكذا الحال في حريتكم ، إذا حلت قيودها  
أمست هي نفسها قيدياً لحرية أعظم منها .  
ثم طلبت إليه العرافة ثانية قائلة ، هات حدثنا عن العقل  
والهوى .

فأجاب وقال :

كثيراً ما تكون نفوسكم ميداناً تثير فيه عقولكم  
ومداركم حرباً عواناً على أهوائكم وشهواتكم .  
وأنتي أود أن أكون صانع سلام في نفوسكم ،  
فأحول ما فيكم من تنافر وخصام إلى وحدة وسلام .  
ولكن أنتي يكون لي ذلك ، إذا لم تصيروا أنتم صانعي  
سلام لنفوسكم ومجيبين جميع عناصركم على السواء ؟

\*  
\* \*

ان العقل والهوى هما سَكَّانٌ <sup>(١)</sup> النفس وشراعها وهي  
سائرة في بحر العالم .

(١) سكان السفينة ما يعرف بالدفة

فاذا انكسر السُّكَّانُ أو تمزق الشراع فان سفينة  
النفس لا تستطيع ان تتابع سيرها ، بل ترغم على ملاطمة  
الامواج يئمة ويسرة حتى تقذف بكم الى مكان امين تحفظون  
به في وسط البحر .

لان العقل اذا استقل بالسلطان على الجسد قيد اهواءه ،  
ولكن الاهواء اذا لم يرافقها العقل كانت لهيباً يتأجج ليفنى  
نفسه .

فاجعل نفسك تسمو بعقلك الى مستوى اهوائك .  
وحينئذ ترى منها ، ما يطربك ويشرح لك صدرك .

وليكن لك من عقلك دليلاً وقائداً لاهوائك لكي  
تعيش اهواؤك في كل يوم بعد موتها وتنهض كالعنقاء<sup>(١)</sup>  
متسامية فوق رمادها .

---

(١) العنقاء مؤنث اعنق ، وهو طائر معروف باسمه مجهول بجسمه .  
وفي الخرافات المصرية أنه طائر مقدس كان يأتي من بلاد العرب مرة  
في كل سنة الى هيليو بولس فيحرق نفسه على المذبح ثم لا يلبث ان ينهض  
من وسط الرماد المحترق حياً جميلاً كما كان . ولذلك كان عندهم رمزاً  
الى الخلود المترجم

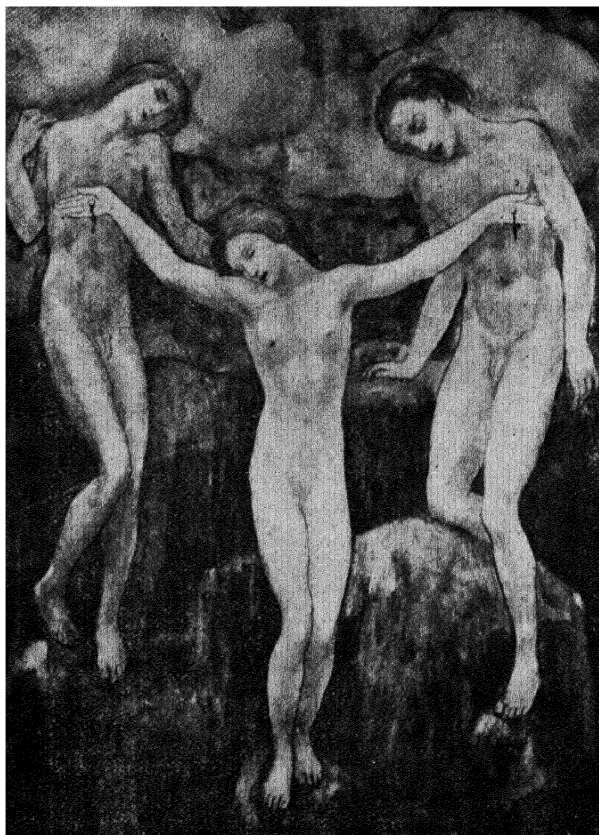


وارغب اليكم ان تُعنوا بالعقل والهوى عنايتكم بطيفين  
عزيزين عليكم .

فانكم ، ولا شك ، لا تكرمون الواحد اكثر من  
الثاني ، لان الذى يعنى بالواحد ويهمل الآخر يخسر محبة  
الاثنين وثقهما .



واذا جلستم فى ظلال الحور الوارفة ، بين التلال الجميلة ،  
تشاطرون الحقول والمروج البعيدة سلامها وسكينتها وصفاءها ،  
- فقولوا حينئذ فى قلوبكم ، « ان الله يستريح فى العقل . »  
وعند ماتمصف العاصفة ، وترزعع الرياح أصول  
الاشجار فى الاحراج ، وتعلن الرعود والبروق عظمة  
السموات ، - فقولوا حينئذ فى اعماق قلوبكم متهيئين  
خاشعين ، « ان الله يتحرك فى الالهواء . »





وما دمتم نسمةً من روح الله ، وورقة في حرجه ، فانتم  
ايضاً يجب ان تستريحوا في العقل وتتحركوا في الالهواء  
ثم نهضت من بين الجمع امرأة وقالت له ، هات حدثنا  
عن الأم .

فاجاب وقال :

ان ماتشعرون به من الأم هو انكسار القشرة التي  
تغلف ادراككم .

وكما ان القشرة الصلدة التي تحجب الثمرة يجب ان تتحطم  
حتى يبرز قلبها من ظلمة الارض الى نور الشمس ،  
هكذا انتم ايضاً يجب ان تحطم الآلام قشوركم قبل ان  
تعرفوا معنى الحياة .

لانكم لو استطعتم ان تعيروا عجائب حياتكم اليومية  
حقها من التأمل والدهشة ، لما كنتم ترون آلامكم اقل غرابة  
من افراحكم ،

بل كنتم تقبلون فصول قلوبكم ، كما قد قبلتم في غابر

حياتكم الفصول التي مرت في حقولكم .  
وكنتم ترقبون وتأملون بهدوء وسكون في شتاء  
احزانكم وآلامكم .



أنتم مُخَيَّرُونَ في الكثير من آلامكم .  
وهذا الكثير من آلامكم هو الجرعة الشديدة المرارة  
التي بواسطتها يشفى الطيب الحكيم الساهر في أعماقكم  
أسقام نفوسكم المريضة .  
لذلك آمنوا بطيب نفوسكم ، وثقوا بما يصفه لكم  
من الدواء الشافي ، وتناولوا جرعة المرة بسكينة وطمأنينة .  
لأن يمينه ، وان بدت لكم ثقيلة قاسية ، فهي مقودة  
منى يمين غير المنظور اللطيفة ،  
والكأس التي يقدمها اليكم ، وان أحرقت شفاهكم ،  
فهي مصنوعة من الطين الذي جبلته يدا الفخاري الأزلي  
بدموعه المقدسة .



ثم قال له رجلٌ، هات حدثنا عن معرفة النفس .  
فأجاب قائلاً :

ان قلوبكم تعرف في السكينة أسرار الأيام والليالي،  
ولكن آذانكم تتشوق لسماع صوت هذه المعرفة  
الهابطة على قلوبكم .

غير انكم تودون لو تعرفون بالألفاظ والعبارات  
ما تعرفونه بالأفكار والتأملات .

وتتوقون الى أن تلمسوا بأصابعكم جسد أحلامكم  
العارى .



وحسنٌ انكم تنوقون الى جميع ذلك .  
فان الينبوع الكامن في أعماق نفوسكم سيتفجر يوماً ما  
ويجري منحدرًا الى البحر .  
والكنز المطمور في أعماقكم غير المتناهية سينقبُ

فی ساعة لا تعلمونها و تفتح أبوابه أمام عیونکم .  
ولکن حذارِ أن تأخذوا معکم موازینکم لکی تزنوا  
بها کنزکم غیر المعروف .  
کلا ، ولا تسبروا غور معرفتکم بقیاس محدود أو حبل  
مشدود .

لأن الذات بحرٌ لا وزن ولا قیاس له .

\*  
\*\*

أجل ، ولا تقل فی ذاتک ، « قد وجدتُ الحق » بل  
قلُّ بالأحرى ، « قد وجدتُ حقاً »  
ولا تقل « قد وجدتُ طریق النفس » بل قلُّ بالأولى  
« قد رأیت النفس تمشی علی طریقى »  
لأن النفس تمشی علی جمیع المسالك والطرق .  
النفس لا تمشی علی حبل أو خیط ، کلا ، ولا هی  
تنمو كالقصبه .

النفس تطوى ذاتها ، كالبشنين<sup>(١)</sup> ذى البتلات التى  
لا يحصى عددها .

ثم قال له معلمه ، هات لنا كلمة فى التعليم .  
فقال :

ما من رجل يستطيع أن يعلن لكم شيئاً غير ما هو  
مستقر فى فجر معرفتكم وأنتم غافلون عنه .  
أما المعلم الذى يسير فى ظل الهيكل محاطاً باتباعه  
ومريديه ، فهو لا يعطى شيئاً من حكمته ، بل إنما يعطى من  
إيمانه وعطفه ومحبته .

لأنه إذا كان بالحقيقة حكماً فإنه لا يأمركم أن تدخلوا  
بيت حكمته ، بل يقودكم بالأحرى الى عتبة فكركم  
وحكمتكم .

فإن الفلكي يستطيع أن يقص عليكم شيئاً من معرفته  
لنظام السماء ، ولكنه لا يقدر أن يعطيكم معرفته .

---

(١) البشنين نبات يقوم على ساق ولا ورق له . ويسميه المصريون  
عرانس النيل .

والموسيقى يستطيع أن ينشدكم أجمل ما في العالم من  
الأناشيد والألحان، ولكنه لا يستطيع أن يمنحكم الأذن  
التي تضبط النظام في النغم ولا الصوت الذي يوجد الألفة  
في الألحان.

والرياضي النابغ في ضبط الأرقام يستطيع أن يوضح  
لكم عدد الموازين والمقاييس وخصائص كل منها، ولكنه  
لا يستطيع أن يمنحكم معرفته،  
لأن الوحي الذي يهبط على رجل مالا يعير جناحيه  
لغيره،

وكما ان لكل منكم مقاماً منفرداً في معرفة الله اياه،  
هكذا يجب عليه ان يكون منفرداً في معرفته لله وفي ادراكه  
لاسرار الارض .

ثم قال له شابٌ ، هات حدثنا عن الصداقة :  
فاجاب وقال :

ان صديقك هو كفاية حاجاتك .

هو حقلك الذي تزرعهُ بالمحبة وتحصدهُ بالشكر .  
هو مائدتك وموقدك .  
لأنك تأتي إليه جائعاً ، وتسعى وراءه مستدفئاً .



فاذا اوضح لك صديقك فكرهُ فلا تخشَ ان تصرحَ  
بما في فكرك من النقي او أن تحتفظ بما في ذهنك من  
الايجاب .

واذا صمت صديقك ولم يتكلم فلا ينقطع قلبك عن  
الاصغاء الى صوت قلبه :

لان الصداقة لا تحتاح الى الالفاظ والعبارات في انماء  
جميع الافكار والرغبات والتمنيات التي يشترك الاصدقاء  
بفرح عظيم في قطف ثمارها اليانعات .

وان فارقتَ صديقك ، فلا تحزن على فراقه :

لان ما تتمسقهُ فيه ، اكثر من كل شيء سواه ، ربما  
يكون في حين غيابه اوضح في عيني محبتك منه في حين  
حضوره ،

لان الجبل يبدو للمتسلق له أكثر وضوحاً وكبراً من  
السهل البعيد .

ولا يكن لكم فى الصداقة من غاية تـرجونها غير ان  
تزيدوا فى عمق نفوسكم .

لان المحبة التى لارجاء لها ، سوى كشف الغطاء عن  
اسرارها ، ليست محبةً ، بل هى شبكة تلتقى فى بحر الحياة ولا  
تمسك الا غير النافع .



وليكن أفضل ما عندك لصديقك .

فان كان يجدر به أن يعرف ضرر حياتك ،

فالا جدر بك ايضاً ان تظهر له مدها .

لانه ماذا تـرجى من الصديق الذى تسمى اليه لتقضى

معه ساعاتك المعدودة فى هذا الوجود ؟

فاسع بالاحرى الى الصديق الذى يحيى ايامك ولياليك .

لان له وحده قد أعطى ان يكمل حاجاتك ، لا لفرانك

ويبوستك .

وليكن ملاك الافراح واللذات المتبادلة مرفوعاً فوق  
حلاوة الصداقة .

لان القلب يجد صباحه في الندى العالق بالصغيرات ،  
فينتفش ويستعيد قوته .

ثم قال له عالم ، هات حدثنا عن الكلام .  
فاجاب وقال :

انكم تتكلمون عند ما توصدُ دونكم أبواب السلام  
مع افكاركم :

وعند ما تعجزون عن السكنى في وحدة قلوبكم ،  
تقطنون في شفاهكم ، والصوت يلهيكم ويسليكم .

وفي الكثير من كلامكم يكاد فكركم يقضى الماء وكآبة .

لان الفكر طائرٌ من طيور الفضاء ، يبسط جناحيه  
في قفص الالفاظ ولكنه لا يستطيع ان يخلق طائراً .

\*  
\*

ان بينكم قوماً يقصدون الثرثار المهذار ، ضجراً من  
الوحدة والافتراد :

لان سكينه الوحدة تبسط أمام عيونهم صورة واضحة  
لذواتهم العارية يرتعدون لدى رؤيتها فيهربون منها .  
ومنكم الذين يتكلمون ، ولكنهم عن غير معرفة ،  
وبدون سابق قصد ، يظهرون حقيقة لا يدركونها هم انفسهم .  
ومنكم الذين أودع الحق قلوبهم ، ولكنهم يابون  
ان يلبسوه حلة اللفظ  
وفي أحضان هؤلاء تقطن الروح في هدوء وسكون .

\*  
\*  
\*

فاذا رايت صديقك على جادة الطريق ، او جمعتك به  
ساحة المدينة ، فدع الروح التي فيك تحرك شفتيك وتدير  
لسانك .  
أفسح المجال للصوت الذي في اعماق صوتك فيخاطب  
أذن أذنه .

لان نفسه تحتفظ بسر قلبك كما يتذكر فم طعم الحرمة  
الطيبة ، وإن تنوسى لونها وتحطمت الكأس التي حملتها .



ثم قال له فلكي<sup>١</sup> ، ايها المعلم ، ماذا تعتقد بالزمان ؟  
فاجابه قائلاً :

أنت تريد أن تقيس الزمان غير المحدود ، الذي لا قياس له .  
وتود ان تطبق سلوكك وتعين مسالك روحك على  
مقتضى الساعات والفصول .

بل انت تريد ان تجعل الزمان جدولاً تجلس الى حافظته  
وتراقب انسجام مياهم وتصنفي الى خيرها .

\*  
\*  
\*

يبد ان غير المقيد فيك بالزمان يعرف حقيقة ان الحياة  
لا تعرف حدود الزمان ،  
وأن ليس امس سوى ذكرى اليوم ، وليس الغد  
سوى حلم اليوم .

وأن القوة التي تترنم وتأمل فيك لاتزال قاطنة ضمن  
حدود تلك الثانية الاولى التي فرقت الكواكب في الفضاء .  
وهل بينكم رجل لا يشعر ان قوته على المحبة فائقة  
الحدود ؟

بل من هو الذى لا يشعر بتلك المحبة ، غير المحدودة ،  
المحصورة فى صميم كيانه ، ولا ينتقل من فكر محبة الى فكر  
محبة ، ومن أعمال محبة الى أعمال محبة غيرها ؟

والزمان ، اليس الزمان ، كالمحبة ، لا ينقسم ولا يستقصى ؟

\*  
\*\*

ولكن اذا شئتم ان تقسموا الزمان الى فصول مختلفة  
فى افكاركم ، فاجعلوا كل فصل من فصوله يحيط بجميع  
الفصول الاخرى ،

واجعلوا الحاضر يعانق الماضى بالتذكارات ، والمستقبل  
بالحنين والتشوقات .

ثم قال له أحدُ شيوخ المدينة ، هات حدثنا عن الخير  
والشر .

فاجاب قائلاً :

انى استطيع ان احدثكم عن الخير ، لا الشر الذى فيكم .

لانهُ ليس الشر هو بعينه الخير المتألم آلاماً مبرحة

من تعطشه ومجاعته ؟

فانى الحق اقول لكم ، ان اخير اذا جاع سعى الى الطعام  
ولو فى الكهوف المظلمة ، وان عطش فانه يشرب حتى من  
المياه الراكدة المتنتنة .

\*  
\* \*

أنت صالحٌ ، يا صاح ، اذا كنت واحداً مع ذاتك .  
واذا لم تكُ واحداً مع ذاتك فانت لست بالشرير .  
لان البيت المنقسم على ذاته ليس مغارةً للصوف ،  
ولكنه بيتٌ منقسمٌ على ذاته لا اكثر ولا اقل .  
والسفينة التى تضع سكانها تهيم فى البحار بين الجزائر  
تهدق بها الاخطار من كل جهة ولكنها لا تفرق الى قعر البحر .

\*  
\* \*

انت صالحٌ ، يا صاح ، اذا جاهدت لى تعطى الناس  
من ذاتك .

ولكنك لست بالشرير اذا سعت وراء منفعة نفسك .  
لانك فى سعيك وراء منفعة نفسك تشبه جذر الشجرة .

الذى يريق دموعه على الارض ثم يمتص الحليب من ثديها .  
الحق اقول لك ، ان الثمرة لاتستطيع ان تقول للجذر ،  
« كن مثلي ناضجاً ، جميلاً ، جواداً ، يبذل كل ما فيه لاجل  
غيره — »

لان العطاء حاجة من حاجات الثمرة لاتعيش بدونها ،  
كما ان الاخذ حاجة من حاجات الجذر لايحي بغيرها .  
\* \* \*

انت صالحٌ ، يا صاح ، اذا كنت تبلغ الى كمال يقظتك  
في خطابك ،  
بيد انك لست بالشرير اذا نمت وكان لسانك يهذر  
من غير مرمى .

لأنّ الكلام ، وان كان مجلبة للعثرات ، لا بد ان يشدد  
لساناً ضعيفاً .  
\* \* \*

انت صالحٌ ، يا صاح ، اذا كنت تسير الى محبتك ،  
واسخ العزم ، ثابت الخطى .

غير انك لست بالشرير ، اذا كنت تمشى الى محبتك  
متلكناً .

لان العُرج انفسهم لايسرون الى الورااء .  
ولكنك ، وانت صحيح القدم قوى الجسد ، انظر ألاً  
تعرج امام العُرج وانت تحسب ذلك رقة وظرفاً .

\*  
\* \*

أنت صالح بطرق عديدة يا صاح ، واذا لم تكن صالحاً  
فانك لست بالشرير ،  
بل انت كسول متراخ .  
ويا ليت الأطباء تستطيع ان تعلم السلاحف البطيئة  
السرعة والرشاقة .

\*  
\* \*

اجل ، ان الخير الذى فيك انما هو فى حينك الى ذاتك  
الجبارة : وهذا الحين فيكم جميعكم .

غير انه يشبه في البعض منكم سيلاً جارفاً يجرى بقوة  
منحدرًا الى البحر ، فيحمل معه اسرار التلال والاوودية  
واناشيد الاحراج والجنان .

وهو في غيرهم اشبه بمجدول صغير يسير في منبسط من  
الارض يريق ماءه في الزوايا والمنعرجات ولذلك يطول به  
الزمان قبل ان يصل الى الشاطئ .

ولكن لا يقل ذو الحنين الكثير الى ذى الحنين  
القليل ، « لماذا انت كسيح بطيء ؟ »

لان الصالح الصالح لا يسأل العراة ، « أين ثيابكم ؟ »  
ولا الغرباء ، « اين منازلكم ؟ »

ثم قالت له الكاهنة ، هات حدثنا عن الصلاة .

فاجاب وقال :

انك تصلين في ضيقتك وفي حاجتك :

ولكن حبذا لو انك تصلين في كمال فرحك ووفرة

خيراتك .







وهل الصلاة غير اتساع ذاتك في الاثير الحى ؟  
فاذا كنتِ تتعزين في ان تسكبي كأس ظلمتكِ في  
الفضاء ، فانكِ ولا شكِ تفرحين ايضاً في ان تسكبي فيه  
فجرَ قوادكِ .

واذا كنتِ لاتستطيعين ان تمسكى عن البكاء عند ما  
تدعوكِ نفسك الى الصلاة ، فالاجدر بنفسك ان تنخسك  
بمنخس حادٍ مرة بعد مرة ، على رغم الدموع المتساقطة على  
وجنتيكِ ، لكى تاتى الى الصلاة فرحةً باسمه .

واذا صليتِ ، فانتِ ترتفعين بروحكِ لكى تجتمعي  
في تلك الساعة بارواح المصلين ، الذين لاتستطيعين ان  
تجتمعي بهم بغير الصلاة .

لذلك فلتكن زيارتكِ لذلك الهيكل غير المنظور مدعاةً  
لهيام السماوى والشركة الروحية السعيدة .

لانكِ اذا دخلت الهيكل ولا غاية لكِ سوى السؤال  
فانكِ لن تغالى شيئاً :

وان دخلتِ الهيكلِ لكي تظهرى وفرة اتضاعكِ  
وخشوعكِ فانكِ لن تجدى رفعة :

بل ، لو جئتِ الهيكلِ وانتِ ترجين ان تلتمسي خيراً  
لفيركٍ من الناسِ فانكِ لن تجابى الى سؤالكِ .

لانهُ يكفيكِ ان تدخلى الهيكلِ من غير ان يراكِ أحدُ .

\*  
\* \*

لاستطيع أن أعلمكِ الصلاة بالالفاظِ .

لان الله لا يصنى الى كلماتكِ ما لم يضعها تعالى اسمهُ

على شفتيكِ وينطق بها بلسانكِ .

ولا اقدر ان اعلمكِ صلاة البحار والاحراج والجبال .

بيد انكِ ، وانتِ ابنة الجبال والاحراج والبحار ،

تستطيعين ان تجدى هذه الصلاة محفورة على صفحات

قلبكِ ،

فاذا اصغيت فى سكىنة الليل سمعتِ الجبال والبحار

والاحراج تصلى بهدوءٍ وخشوعٍ :

« ربنا والهنا ، يا ذاتنا المحنحة ،

« اننا بارادتك نريد ،

« وبرغبتك نرغب ونشتهي .

« بقدرتك تحول لياalina ، وهي لك ، الى ايام هي لك

ايضاً .

« اننا لانستطيع ان نلتمس منك حاجةً ،

« لانك تعرف حاجاتنا قبل ان تولد في اعماقنا .

« انت حاجتنا : وكلما زدنا من ذاتك زدنا من كل شيء .»

حينئذٍ دنا منه ناسك يزور المدينة مرةً في السنة ،

وقال له ، هات حدثنا عن اللذة .

فاجاب وقال :

اللذة انشودة الحرية ،

ولكنها ليست حرية بذاتها .

اللذة زهرة رغباتكم ،

ولكنها ليست ثمرة لها .

اللذة عمق ينشد علواً ،  
ولكن لاهى بالعمق ولا هي بالعلو .  
اللذة جناحٌ قد أفلت من قفصه ،  
ولكنها ليست فضاءً حرّاً طليقاً .  
أجل ، ان اللذة بالحقيقة انشودة الحرية .  
وانه ليطربني أن تترنموا بها في اعماق قلوبكم : ولكنني  
لا آذن لكم ان تستساموا بقلوبكم للفناء .

\*  
\*

ان فريقاً من احداثكم يسعون وراء اللذة سعيهم وراء  
كل شيء ، ولذلك يحكم عليهم بالقصاص والتأديب .  
أما انا فلا ادينهم ، ولا احكم عليهم . ولكنني اسألهم :  
أن يفتشوا وينقبوا .

لانهم سيجدون اللذة في تفتيشهم ، ولكنهم لن يجدوها  
وحدها فقط :

فان لها سبع شقيقات ، احقرهن أوفر جمالاً منها .

وانتم ألم تسعوا بذلك الرجل الذى كان يحفر الارض  
لكى يستخرج الجذور من أعماقها فوجد كنزاً عظيماً؟



وفريق آخر من شيوخكم يتذكرون لذات شبابهم  
آسفين ، كأنما هي جرائم اقترفوها في اوقات السكر والجمالة .  
ولكن الأسف هو بالحقيقة غمامة تمم الفكر ولا تؤدبه .  
ولذلك يجدر بهم ان يتذكروا لذاته بالحمد والثناء كما  
يتذكرون حصاد الصيف .

ولكن اذا كان الاسف يعزيهم فلا بأس ان يتعزوا به .



وهناك فريق ثالث ممن ليسوا بالاحداث لكى يجاهدوا  
مفتشين عن لذات جديدة ولا بالشيوخ لكى يتذكروا  
لذات شبابهم ،

ولكنهم لشدة خوفهم من عناء الجهاد فى التفثيش

والالم في التذكارات يُعرضون عن جميع اللذات ، لئلا يهملوا  
الروح او يمدفوا عليها .

غير ان لهم من هذا الاعراض بعينه لذة لانفسهم .  
ولذلك فهم ايضاً يجدون كنزاً لذواتهم مع انهم يحفرون  
لاجل الجذور بايد مرتعشة .

ولكن هل لك ان تخبرني ، وانت الناسك الحكيم ،  
من هو الذي يستطيع ان يكدر على الروح صفوها ؟  
أيستطيع البلبل ان يعكر صفو سكينه الليل ، أم  
الجباحب نور السماء ؟

وهل يقدر لهيب نارك أو دخانها أن يثقل كاهل الريح ؟  
ام هل تعتقد أن الروح بركة هادئة وفي استطاعتك كلما  
خطر لك ان تزعج هدوءها بمصاك ؟

\*  
\*

كلما انكرت على ذاتك التمتع بلذة ما تعلق بيديك على  
تلك اللذة في مستودعات كيائك .

ومن يدري هل تعود اللذة التي ترفضها اليوم فتترقب  
عودتك اليها في الغد؟

لان جسدك يعرف حاجاته الضرورية وميراثه الحقيقي،  
فلا يستطيع احد ان يخدعه .

اجل ، ان جسدك هو قيثارة نفسك ،  
وانت وحدك تستطيع ان تخرج منها أنغاماً فنانة او  
أصواتاً مشوشة مضطربة .

\*  
\* \*

ولعلك تسأل في قلبك قائلاً ، « كيف نستطيع ان نميز  
بين الصالح والشرير من اللذات » ؟  
فاذهب الى الحقول والبساتين وهناك تتعلم ان لذة  
النحلة قائمة في امتصاص العسل من الزهرة ،  
ولكن لذة الزهرة ايضاً تقوم بتقديم عسلها للنحلة .  
والنحلة تعتقد ان الزهرة ينبوع الحياة ،  
والزهرة تؤمن بان النحلة هي رسول المحبة المحيية ،

والنحلة والزهرة كلتاها تعقدان ان اقتبال اللذة  
وتقديمها حاجتان لا بد منهما وافتتان لا غنى للحياة عنه .

\*  
\*\*

اجل ، يا ابناء اورفليس ، كونوا في لذاتكم كالنحل  
والأزهار

ثم قال له شاعرٌ ، هات لنا شيئاً عن الجمال .  
فاجابهُ قائلاً :

أين تفتش عن الجمال ، وكيف تقدر ان تهتدى اليه  
مالم يكن هو نفسهُ طريقاً لك ودليلاً ؟  
وكيف تستطيع ان تتحدث عن الجمال مالم ينسج لك  
ثوباً لاثقاً بخطابك ؟

\*  
\*\*

فالحزين المتالمُ يقول ، « الجمال رقة ولطف ، وهو يمشی  
بيننا كالأم الفتية الحية من جلالها . »  
والغضوبُ يقول ، « كلا ، بل الجمال قوةٌ وبطش ، فهو



كالعاصفة يهز الارض تحت اقدامنا والسماء فوق رؤوسنا . «  
والتعبُ الملولُ يقول ، « ان الجمال لطيف المناجاة يتكلم  
في ارواحنا ويتموج صوتهُ في سكون اذهاننا كما يرتعش  
النور الضئيل خوفاً من الظل الظليل . «  
غير ان القلقَ المضطرب يقول ، « قد سمعنا الجمال  
يصيح باعلى صوتهِ بين الجبال ،  
يرافق صوتهُ وقع الحوافر ، وخفقان الاجنحة وزجرجرة  
الاسود . «



وعند انتصاف الليل يقول حارس المدينة ، « سيزرع  
الجمال مع الفجر من المشرق . «  
وعند الظهيرة يقول العمالُ وعابرو السبيل ، « قد راينا  
الجمال يطل على الارض من نوافذ المغرب . «



وفي الشتاء يقول جامعو الثلوج ، « سيأتي الجمال مع

الربيع وهو يقفز على التلال . «  
وفي الصيف يقول الحصادون ، « قدرأنا الجمال يرقص  
مع اوراق الخريف ، وشاهدنا كومة من الثلج على رأسه . »

\*  
\* \*

كل هذا سمعتم تقولونه في الجمال ،  
غير انكم بالحقيقة لم تقولوا فيه كلمة ، وانما تمددتم  
بمحاجاتكم غير المكلمة ، والجمال ليس بالحاجة غير المكلمة بل  
هو انشغاف وافتتان .

اجل ، وليس الجمال فماً متمطشاً او يداً ممدودة ،  
بل هو قلب متلهب ، ونفس مفتونة مسحورة .  
وليس بالصورة التي ترغبون في رؤيتها أو الانشودة  
التي ترجون سماعها ،

بل هو صورة تبصرونها ولو اغمضتم عيونكم وانشودة  
تسمعونها ولو اغلقتم آذانكم .  
وليس بالمصارة الجارية في عروق الاشجار ، ولا

بالجناح المتعلق في الخالب ،  
بل هو بستان تزينه الازهار الى الابد ، وجوقة من  
الملائكة ترفرف باجنحتها الى منتهى الدهور .

\*  
\* \*

نعم ، يا ابناء اورفليس ، ان الجمال هو الحياة بعينها  
سافرةً عن وجهها الطاهر النقي .

ولكن انتم الحياة وانتم الحجاب .  
والجمال هو الابدية تنظر الى ذاتها في مرآة .  
ولكن انتم الابدية وانتم المرآة .  
ثم دنا منه كاهن شيخ وقال له ، هات حدثنا عن الدين .  
فاجاب قائلاً :

وهل تكلمت اليوم في موضوع آخر غير الدين ؟  
أليس الدين كل ما في الحياة من الاعمال والتأملات ؟  
أليس الدين كل ما في الحياة مما ليس هو بالعمل ولا  
بالتأمل ، بل غرابة وعجب ينبعان من جداول النفس ابداً ،

وان عملت اليدان في نحت الحجارة او ادارة الانوال ؛  
مَنْ يستطيع ان يفصل ايمانهُ عن أعماله ، وعقيدتهُ عن  
مهنته ؟

مَنْ يستطيع ان يبسط ساعات عمره امام عينيه ، قائلاً ،  
« هذه لله ، وهذه لى ، هذه لنفسى ، وهذه لجسدى ؟ »  
فان جميع ساعات الحياة اجنحة ترفرف في الفضاء منتقلة  
من ذات الى ذات .

وان من ينظر الى فضيلتهِ نظرتهُ الى افضل حلة يلبسها  
فالاجدر به ان يسير بين الناس عارياً ،  
لان الريح والشمس لاتمزقان بشرتهُ .

وكل من يقيد سلوكهُ وتصرفهُ بقيود الفلسفة والتقليد  
انما يحبس طائر نفسه الغريد في قفص من حديد .  
لان انشودة الحرية لا يمكن ان تخرج من بين العوارض  
والقضبان .

وكل من يعتقد أن العيادة نافذةٌ يفتحها ثم يُغلقها

فهو لم يبلغ بعدُ الى هيكل نفسه الذي نوافذه مفتوحة من  
الفجر الى الفجر .

\*  
\* \*

ان حياتكم اليومية هي هيكلكم وهي دياتكم .  
خذوا معكم كل مالكم عند ما تدخلون هيكلها .  
خذوا السكة والكور والمطرفة والطنبور ،  
وكل مالديكم من الآلات التي صنعتوها رغبة في  
قضاء حاجاتكم او سعياً وراء مسراتكم ولذاتكم  
لانكم لا تستطيعون ان ترتفعوا بتأملاتكم فوق أعمالكم ،  
ولا تقدرزون ان تنحدروا بتصرفاتكم الى أدنى من خيباتكم .  
وليرافقكم جميع معارفكم من أبناء الانسان :  
لانكم لا تستطيعون في عبادتكم ان تحلقوا فوق آمالهم  
ولا أن تصعوا ذواتكم الى أحقر من يأسهم .

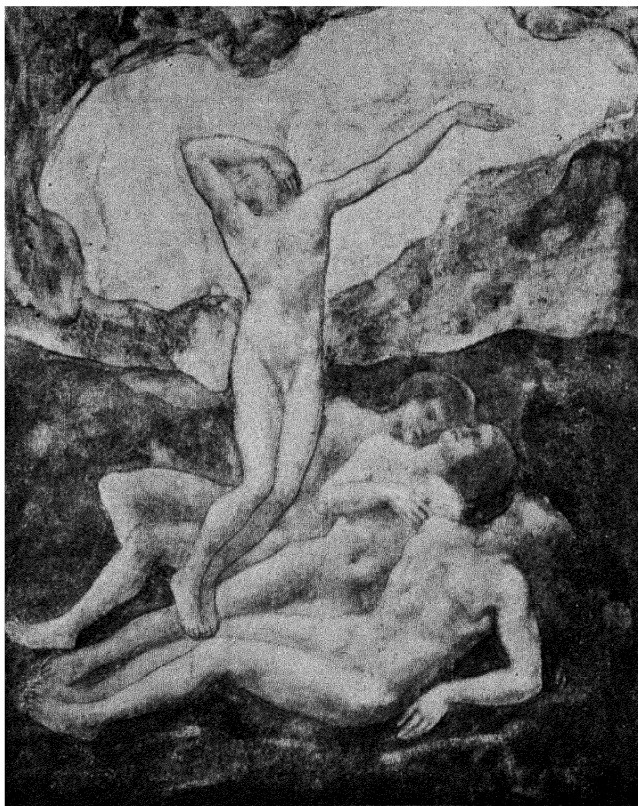
\*  
\* \*

وإن شئتم ان تعرفوا ربكم ، فلا تُعنوا بحل الاحاجى  
والالغاز .

بل تاملوا فيما حولكم تجدوهُ لاعباً مع أولادكم .  
وارفعوا انظاركم الى الفضاء الواسع تبصروهُ يمشى في  
السحاب ، ويسط ذراعيه في البرق ، وينزل الى الارض مع  
الامطار .

تاملوا جيداً ، تروا ربكم يبتسم بغور الازهار ، ثم  
ينهض ويحرك يديه بالاشجار .  
ثم قالت لهُ المطرة ، نود ان تحدثنا الآن عن الموت .  
فقال لها :

انكم تريدون ان تعرفوا اسرار الموت ،  
ولكن كيف تجدونها ان لم تسعوا اليها في قلب الحياة ؟  
لان البومة التي لاتفتح عينيها الا في الظلمة ، البومة  
العمياء عن نور النهار ، لاتستطيع ان تنزع الحجاب عن اسرار  
النور .



97 *in*





فاذا رغبتم بالحقيقة فى ان تنظروا روح الموت ، فافتحوا  
أبواب قلوبكم على مصاريمها لنهار الحياة .  
لان الحياة والموت واحدٌ ، كما ان النهر والبحر واحدٌ  
ايضاً .

\*  
\* \*

فى أعماق آمالكم . و رغباتكم تنكئ معرفتكم الصامتة  
لما وراء الحياة :  
وكما تحلم الجيوب الهاجمة تحت الثلوج بالربيع ، هكذا  
تحلم قلوبكم بريعمها .  
لذلك فلتكن ثقتم عظيمةً بالاحلام ، لان بوابة الابدية  
مخفية فيها .

أمّا خوفكم من الموت فهو اشبه بارتعاش الراعى الواقف  
أمام الملك الذى يريد ان يرفع يمينه فوقه لى يكرمه وينم  
عليه بوسام الرضى والفخر .

افلا يفرحُ الراعى مع ارتعاشه لان مليكه يقلدهُ وسام  
الشرف والرضى ؟

ولكن الا يشعر مع ذلك بارتعاشه وخفقان قلبه ؟

\* \* \*

وهل موت الانسان هو اكثر من وقوفه عارياً في  
الريح وذوبانه في حرارة الشمس ؟

أم هل انقطاع التنفس ، غير تحرير النفس من دورانه  
المتواصل ، لكى يستطيع ان ينهض من سجنه ويخلق في  
الفضاء ساعياً الى خاتمه من غير قيد ولا تعويق ؟

\* \* \*

انكم لا تستطيعون ان تترنموا بالأناشيد حتى تشربوا  
من نهر الصمت .

ولا تستطيعون ان تباشروا الصعود الى الجبال حتى  
تبلغوا الى قننها .

ولن تقدروا ان ترقصوا حتى تتسلم الارض جميع  
اعضائكم .  
وكان المساء .

فقات العرافة المطرة ، مبارك هذا اليوم وهذا المكان  
الذى جمعنا بك . ومباركة روحك التى خاطبت ارواحنا .  
فاجاب وقال ، « وهل انا الذى تكلمت ؟ ألم أكن انا  
سامعاً نظيركم ؟



ثم نزل عن درجات الهيكل ومشى ، فتبعه الشعب  
باسره .

وظل يجد فى سيره والشعب يلحق به حتى وصل الى  
المرفأ ، فضعد الى سفينته ووقف على ظهرها  
حيثذ رفع صوته ، والشعب ينظر اليه ، وقال لهم :  
يا ابناء اورفليس ، ان الريح تأمرنى ان افارقكم .  
ومع انى لست كالريح عجولاً ، فاننى مرغم ان اطيع  
اوامرها .

لأننا نحن الهائمين ، الذين ينشدون ابداً اشد الطرق  
وحدةً ، لانبدأ أعمال نهار مآ ، عند ما نفرغ من نهار غيره .  
ولا نجدنا شروق شمس حيث تركنا الغروب الذى تقدمه ؟  
لأننا ، وان نامت الارض ، مستيقظون نوالى مسيرنا .  
نحن بذور نبات غريب عجيب ، وفى بلوغنا واكتمال  
نمو قلوبنا قد وهبنا منحةً للريح فتفرقنا على وجه الارض .

\*  
\*  
\*

قليلة كانت ايامى بينكم ، وأقل منها كلماتى التى تركتها لكم .  
ولكن اذا تلاشى صوتى فى آذانكم وزالت محبتي من  
قلوبكم فحينئذ آتى اليكم سريعاً ،  
واخاطبكم ثانيةً بقلب اوفر عطفاً من قلبى وشفتين  
أجرى إثماراً للروح من شفتى .

اجل ، انى سأرجع مع المد ،  
فان حجبتى الموت عنكم الآن ، وضئى الصمت العظيم  
بين طيات سكينته ، فانى سأنشد ادراككم مرة أخرى .

ولن تذهب أتماني في ذلك الحين عبثاً .  
فان كنت قد خاطبتكم اليوم بالحق الصريح ، فان هذا  
الحق سيظهر ذاته لكم في ذلك اليوم بصوت اتقى من صوته  
اليوم ، وبكلمات اقرب الى افكاركم من كلماته اليوم .

\*  
\* \*

اننى ماضٍ مع الريح ، يا أبناء اورفليس ، ولكن لن  
أهبط الى العالم السفلى ، الى الفراغ المرعب :  
فاذا لم يكن هذا اليوم قد اكمل حاجاتكم وأفعمكم  
من محبتي ، فليكن موعداً ليوم آخر .  
فان حاجات الانسان تتبدل ، ولكن محبته لا تتغير ،  
ومثلها رغبته في ان تشبع المحبة حاجاته .

فاعلموا اذن اننى سارجع اليكم من عالم الصمت والسكينة .  
لان الضباب الذى يفارق الأرض عند بزوغ الفجر ،  
من غير أن يترك سوى قطرات صغيرة من الندى فى الحقول ،  
انما يرتفع فى الجو لكي يتجمع هنالك فيولّف السحاب الذى

لا يلبث ان يعود الى الارض مطراً غزيراً .  
وقد كنت بينكم مثل هذا الضباب .  
ففي سكينه الليل كنت أمشي في شوارعكم ، وكنت  
أدخلُ بروحي الى أعماق منازلكم ،  
وكانت نبضات قلوبكم تتردد في قلبي ، وسحائب لهائكم  
تنتشر على وجهي ، وقد عرفتمكم بمجركم وبمجركم .  
نعم ، قد عرفت فرحكم وحزنكم . وفي هجوعكم كانت  
احلامكم احلاماً لي .  
وكثيراً ما كنت بينكم بحيرةً بين الجبال .  
فكانت ترسم على صفحات مرآتي فننكم الشاهقة ،  
ومنحدراتكم المترججة ، حتى قطعان افكاركم ورغباتكم العابرة  
عليها .  
وكان ضحك اولادكم يجري الى سكينتي مع مياه  
الجداول ، وكان حنين شبانكم وشاباتكم يأتي الى مع مجاري  
الانهار .

ومع ان الجداول والانهار كانت تبلغ الى اعماق فانها لم  
تكن تنقطع البتة عن الغناء .

\*\*\*

ولكن هنالك ما هو أحلى من الضحك وأعذب من  
الحنين بين من جاء الى منكم .

الا وهو الكائن غير المحدود فيكم ،  
الانسان البالغ العظمة فيكم الذى لستم سوى أنسجة  
وعضلات فى كيانه ،

والمرنم الذى ليس غناؤكم امام غناؤه سوى اختلاج  
وهينة .

وانتم لا تعرفون العظمة الا بهذا الانسان العظيم الذى فيكم ،  
وعند ما رايته رايته حقيقتكم ، وأحببتكم .

لانه هل فى الوجود علو او بعد تصل اليهما المحبة ولا  
يحيط بهما فى دائرة كيانه العظيمة الاتساع ؟

ام هل هنالك تصورات او تمنيات او أحلام تستطيع  
ان تسمو فتبلغ الى أقصى ارتفاعه ؟

اجل ، ان هذا الانسان العظيم هو بالحقيقة كالسنديانة  
الجبارة المغطاة ببراءم التفاح الجميلة .

فقدرته تُقيدكم بالارض ، وشذاهُ يرفعكم الى اعلى  
الفضاء ، وفي عزمه وصبره على عواصف الطبيعة اتم خالدون .

\* \* \*

قد أُخبرتمُ فيما مضى انكم كالسلسلة ، ضعفاء كاضف  
حلقة في كيانكم .

غير ان هذا انما هو نصف الحقيقة . فانتم ايضاً اقوياء  
كاقوى حلقة من سلسلتكم .

لانا اذا حكمنا عليكم باصفر اعمالكم كنا كمن يحكم  
على قوة البحر بما في زبده من الضعف وسرعة الزوال .

وان حكمنا عليكم بخيبتكم كنا كمن يلوم الفصول  
لتعاقبها وعدم ثباتها .

\* \* \*

اجل ، انكم بالحقيقة كالاوقيانوس العظيم ،



فع ان سفناً عظيمة تنتظر مد البحر وجزره مُعلى شواطئكم ،  
فانتم كاللاوقيانوس ، لاتستطيعون ان تعجلوا مدكم وجزركم .

وانتم كالفصول ايضاً يا ابناء اورفليس ،

فانكم تنكرون ربيعكم في شتائكم ،

ولكن الربيع لا يذكركم ، بل يتسم لكم في غفلته ،

من غير ان يفضب او يتعكر صفوه .

ولا يخطر لكم انى اقول لكم هذا لى احملكم على

ان تهمسوا بعضكم لبعض قائلين ، « قد اجاد فى مديحنا

والثناء علينا . ولم ير سوى الصالح فينا . »

فانى أنقل اليكم بالفاظى ، ماتدركونه انتم بافكاركم .

وهل المعرفة اللفظية سوى ظل للمعرفة غير اللفظية ؟

لان افكاركم وكلماتى ماهى عند التحقيق الامواج

تقذف بها بحيرة الذاكرة المختومة التى تحتفظ بدواوين

ماضينا وماجرياتهِ ،

وحوادث الايام المنصرمة عند ما لم تكن الارض

تعرفنا ، وكانت تجهل ذاتها ايضاً ،  
واحلام الليالى عند ما كانت الارض خربة خاوية  
خالية .

\*  
\* \*

قد جاءكم الحكماء قبلى لى يقدموا لكم من حكمتهم ،  
اما انا فقد اتيت اليكم لى اعرف من معين حكمتكم .  
وها أنذا قد وجدت ما هو أعظم من الحكمة .  
قد وجدت | زوحاً ملتهبة فيكم ما برحت تستزيد جمع  
مبعثرات ذاتها ،

غير انكم كنتم وما زلتم | عافلين عن اتساعها وتماظمها ،  
تموحدون وتبكون على ايامكم الزائلة .  
فان الحياة تفتش عن الحياة فى اجسام الذين | يخافون  
القبور .

\*  
\* \*

ولكن لا قبور ههنا .

لان هذه الجبال والسهول انما هي بالحقيقة سريره ومرقاة .  
فاذا قادتكم خطواتكم الى الحقل الذى وضعت فيه  
اسلافكم فتأملوا جيداً فى جميع جهاته ، روا ذواتكم  
ترقصون مع اولادكم جنباً الى جنب .  
فانى الحق اقول لكم ، انكم كثيراً ما تفرحون وانتم  
لا تعرفون .



وآخرون جاءوا اليكم وعللوكم بالمواعيد الذهبية التى  
تبنون عليها صروح ايمانكم فوهبتهم لهم ثروة وقوة وعظمة .  
اما انا فقد اعطيتكم أحقر موعد ، ولكنكم اظهرتم  
نحوى أريحية لم تظهروها لسواى .  
فقد اعطيتمونى تعطشى الشديد للحياة .

فانى اصارحكم القول انه مامن عطية فى هذا العالم  
أجزل فائدة للانسان من العطية التى تحول كل ما فى كيانه  
من الاميال والرغبات الى شفتين محترقتين عطشاً ، وتجعل

حياتهُ جميعها ينبوعاً حياً باقياً .

وهو ذا نخري وأجرى ، —

في اية ساعة جئت الينبوع متمطشاً اجد الماء الحى  
المتدفق من فم الينبوع متمطشاً ايضاً :  
قيشربنى هذا الماء كما اشربه .

\*  
\*  
\*

وقد خيل الى البعض منكم انى عيوف حيبى فلا أقبل  
عطيةً من عطاياكم .

على انى بالحقيقة أ كره قبول الاجور ولكنى  
لا أرفض العطايا .

وانه غير خاف عليكم انى كنت أتقوت بأثمار العليق  
والتوت بين التلال فى حين انكم كنتم ترغبون فى ان اجالسكم  
حول موائدكم ،

وكنت أنام فى رواق الهيكل فى حين ان كلاً منكم  
كان يفرح لو يتاح له ان ياوينى فى بيته ،

ولكن اليست محبتكم الشديدة المزوجة بدموع العناية  
بإيامي ولياليّ هي التي جعلت الطعام حلواً في فمي وحفّت نومي  
بالوحي والاحلام ؟



لاجل هذا ابارككم من اعماق قلبي :  
لانكم تعطون كثيراً ولا تعرفون انكم تعطون شيئاً .  
الحق اقول لكم ، ان اللطف الذي ينظر الى ذاته في  
مرآةٍ ينقلبُ حجراً .  
والعمل الصالح الذي يسمّى نفسهُ باسماء جميلة يصير والدّاً  
للعنة كريهة .



وقد دعاني فريق منكم متوحداً ثملاً بمحبة وحدتي ،  
اما انتم فقتلتم بعضكم لبعض ، « لا تبالغوا في عدلهِ  
وملامتهِ ، فانهُ يجب ان يؤلف مجلسهُ من اشجار الأحراج  
وليس من ابناء الانسان .

وهو يستلذ الجلوس على رؤوس التلال والنظر الى  
مدينتنا . »

وانى بالحقيقة قد تسلقت التلال ومشيت فى اراضٍ  
بعيدة جداً .

لانهُ كيف امكنتى ان اراكم من غير ان اكون فى علو  
شاهق ، او بعد شاسع ؟  
او كيف يستطيع احدٌ ان يكون قريباً ما لم يكن  
بعيداً ؟



وغيركم من كان ينادينى ، ولكن بغير الالفاظ ، ويقول لى ،  
« ايها الغريب ، ايها الغريب ، المتعشق مالا يُبلغُ اليه  
من الشاهقات ، لماذا تقطن بين قنن الجبال حيثما تبني النسور  
اعشاشها ؟

لماذا تسمى الى مالا سبيل للحصول عليه ؟  
اى نوع من العواصف تريد ان تصطاد لشبكتك ،

وماهى الطيور البخارية التى تفتش عنها فى السماء ؟  
هلمّ الينا ، وكن واحداً منا .  
اهبط من علوك ، وسكن حدة مجاعتك بخبزنا ،  
وأخذ لظى عطشك بلذيد خمرتنا ؟ »

قالوا هذه الاقوال كلها فى وحدة نفوسهم ؛  
ولو كانت وحدتهم أعمق مماهى لادرکوا انى لم اكن  
أسمى الا الى ادراك سرّ افراحكم وآلامكم ،  
ولم اكن اصطاد سوى ذواتكم الكبرى السائرة نحو  
السماء .



ولكن الصياد قد صار صيداً :  
لان كثيراً من سهامى لم تترك قوسى الا لى تسعى  
الى صدرى .

والطائر قد صار زحافة :

لانى عند ما بسطت جناحىَّ فى الشمس صار ظلهماعلى  
الارض سلحفاة .

وانا المؤمن صرت مرتاباً ،

لانى كثيراً ما وضعت اصبعى فى جنبى رجاء أن ابلىغ  
الى كمال ايمانى بكم ومعرفتى لحقيقتكم .

\*  
\* \*

وبهذا الايمان وهذه المعرفة اقول لكم ،

انكم لستم محصورين فى سجون أجسادكم ، كلا ،  
ولستم مقيدين بجدران بيوتكم وحدود حقولكم .

فان الذات الخفية التى تمثل حقيقتكم تقطن فوق الجبال

وتهميم مع الرياح .

لانىها لا تدب الى الشمس مستدفئةً ولا تلمس طريقها

فى الظلمة مستنجدة ،

بل هى روح حرة طليقة تلفُ الارض وتركب دقائق

الاثير .

\*  
\* \*



وان جاءت كلماتي هذه غامضة على أفهامكم فلا تسعوا  
وراء ايضاحها .

فان الغموض والسديم هما بداءة كل شيء لانهايته ،  
وانني بملء الرغبة اود ان تتذكروني كبداءة .  
والحياة ، وجميع الكائنات الحية ، انما تتصور اولاً  
في الضباب وليس في البلور .  
ومن يدري ان البلور لم يكن ضباباً متجمداً ؟



وهذا ما اود ان تحتفظوا به مع ذكراى :  
ان ما يبدو لكم ضعيفاً متضعضاً فيكم هو اقوى  
وأثبت ما فى كيانكم .  
لانه أليس لهاكم هو الذى يقيم بنيان عظامكم  
ويشده ؟

بل ليس الحلم الذى لم يحلم به احدٌ منكم قط هو الذى  
بنى مدينتكم وعمل كل ما فيها ؟  
فلو كان لكم ان تنظروا مجارى ذلك الالهات لما كانت  
لكم حاجة الى ان تنظروا شيئاً آخر غيرها ،  
ولو استطعتم ان تسمعوا مناجاة ذلك الحلم لما كنتم  
ترغبون فى سماع اى صوت آخر فى العالم .



ولكنكم لا تنظرون ولا تسمعون ، وحسناً تفعلون .  
فان الحجاب المسدول على عيونكم سترفعه اليد التى  
حأكته .

والطين الذى يسدُّ آذانكم ستنزعه الأصابع التى  
جبلته .

وحينئذ تبصرون .

وحينئذ تسمعون .

يَدَ انكم لن تتحسروا على انكم كنتم عمياً او صُمّاً ،  
لانكم في ذلك اليوم ستعرفون المقاصد الخفية في  
كل شىء ،

وستباركون الظلمة كما تباركون النور .



وعند ما قال هذا نظر حواليه ، فرأى رُبان سفينته  
منتصباً أمام السكان وهو ينظر تارة الى الاشرعة وطوراً  
الى البحر .

فقال :

ان ربان سفينتى واسع الصدر جزيل الصبر .  
فان الريح تهب بعنف ، والاشرعة مضطربة ؛  
حتى ان السكان نفسه يُحتاج الى من يديره ؛  
ومع كل هذا فان ربان سفينتى ينتظر ساكوتى .  
وهؤلاء الملاحون رفقائى ، الذين سمعوا جوق المنشدين

فى البحر الاعظم ، قد اصغوا الى بطول اناة .  
ولكنهم لن ينتظروا ثانية واحدة بعد .  
فانى على اتم الالهة للسفر .  
فقد وصل الجدول الى البحر ، وأُتيح للام العظيمة ان  
تضم ابنها الى صدرها مرة ثانية .

\*  
\* \*

فالوداع ، الوداع ، يا ابناء أورفليس .  
قد غربت شمس هذا اليوم .  
واغلق علينا ابوابه كما تفلق زنبقة الغور اوراقها على  
غدها .

فكل ما اعطيناه ههنا سنحتفظ به ،  
واذا لم يكن كافياً لسد حاجتنا ، فاننا نأتى ثانية الى  
هذا المكان ونمد أيدينا معاً لمن اعطانا .  
ولا تنسوا انى سأتى اليكم مرة اخرى .





فلن يمر زمن قليل حتى يشرع حنيني في جمع الطين  
والزبد لجسد آخر .

قليلاً ولا تروني ، و قليلاً وتروني ،  
لان امرأة اخرى ستلدني .

\*  
\* \*

اودعكم واودع الشباب الذي قضيت بينكم .  
فاننا في الامس قد اجتمعنا كما في حلم .  
قد أنشدتم لي في وحدتي ، و بنيت لكم من اشواقكم  
برجاً في السماء .

ولكن عهد النوم قد انقضى . والحلم قد مضى ، ولسنا  
الآن عند بزوغ الفجر .

لان الظهيرة ترقص فوق رؤوسنا ويقظتنا الناقصة قد  
تحوّلت الى نهار كامل ، فيجدر بنا ان نفترق .

فاذا جمعنا شفق الذكرى مرة اخرى فاننا حينئذ نتكلم

معاً ، وحينئذ تنشدون لى انشودة اوقع فى النفس من  
الانشودة اليوم .

وان اجتمعت ايدينا فى حلمٍ ثانٍ فهناك سنبنى برجاً  
آخر فى السماء .



وعند ما قال هذا أشار الى الملاحين اشارة تؤذن بالسفر ،  
فرفعوا مرساة السفينة فى الحال وحلوا حبالها ، وساروا نحو  
الشرق .

فصرخ الشعب كله بصوت عظيم كما من قلب واحد ،  
وتعالى صراخهم فى الشفق فحملته دقائق الهواء فوق البحر  
كانه صوت بوق عظيم .

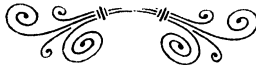
اما المطرة العرافة فكانت صامتة وحدها ، تشيع  
السفينة بنظرها حتى توارت فى الضباب .

ثم تفرق الشعب كلٌّ فى سبيله ، بيد انها ظلت وحدها



واقفة على شاطئ البحر تردد في قلبها كلمات المصطفى  
الاخيرة :

« قليلاً ولا تروني ، وقليلاً وتروني ،  
لان امرأة اخرى ستلذني . »



## فهرس الكتاب

| صفحة |              | صفحة |                   |
|------|--------------|------|-------------------|
| ٦٤   | العقل والهوى | ٣    | كلمة المترجم      |
| ٦٧   | الالم        | ١١   | النبي             |
| ٦٩   | معرفة النفس  | ٢٠   | المحبة            |
| ٧١   | التعليم      | ٢٥   | الزواج            |
| ٧٢   | الصدقة       | ٢٦   | الاولاد           |
| ٧٥   | الكلام       | ٢٨   | العطاء            |
| ٧٧   | الزمان       | ٣٣   | المأكل والمشرب    |
| ٧٨   | الخير والشر  | ٣٥   | العمل             |
| ٨٢   | الصلاة       | ٣٩   | الفرح والترح      |
| ٨٥   | اللذة        | ٤٢   | اليبوت            |
| ٩٠   | الجمال       | ٤٦   | الثياب            |
| ٩٣   | الدين        | ٤٧   | البيع والشراء     |
| ٩٦   | الموت        | ٥٠   | الجرائم والعقوبات |
| ٩٩   | النساء       | ٥٦   | الشرائع           |
| ١١٦  | الوداع       | ٦٠   | الحرية            |

ملحق

بكتاب النبي

---

ترجمه

الارشمندريت انطونيوس بشير

---

جميع الحقوق محفوظة للمترجم



ترجم فيما يلي الخطاب الذي القاهُ الاستاذ فرانكل  
رئيس الطائفة اليهودية في مدينة ديترويت ميتسشيفان من  
اعمال الولايات المتحدة الاميركية على نخبة من علماء المدينة  
وكبار مفكرها يصف لهم كتاب « النبي » ومؤلفه جبران  
خليل جبران بدرس تحليلي يتضح لكل من يطالعهُ الدرجة  
التي بلغ اليها نابغة الوطن المحبوب في المهجر لدى ابناء أميركا .  
وكان في ودنا ان نضعهُ في مقدمة الكتاب ، غير اننا عدلنا  
عن ذلك لكي لانقيّد المطالع بافكار الخطيب ، فرأينا ان  
نجملهُ ملحقاتاً بالكتاب يطالعهُ القارئ الاديب بعد ان يفرغ  
من مطالعة « النبي » المرة الاولى فينم النظر في ما يقدمهُ  
لهُ من الملاحظات الجديرة بالاعجاب والتأمل ثم يعود الى  
قراءة الكتاب مشئ وثلاث وربع فتكون له هذه الملاحظات  
مع اختبارهِ الشخصي في درس هذا السفر النفيس خير معوان

على التقاط درره الفريدة . وانامع الخطيب بكل ملاحظاته  
ماعدا رغبته في ضم جبران الى اليهودية !!  
وهذه خطبة الاستاذ فرانكل :

كما ان المجتاز في الصحراء المحرقة وقد قرصته الشمس  
محرارتها القاسية وخارت قواه حتى الموت تجاه الرياح الشرقية  
الهابة في وجهه فبات واهى العزم قليل الامل في الحياة -  
كما ان هذا الهائم المسكين وقد نفذت جمعة صبره يقبل  
على واحة مخضلة الجوانب فيشعر برقة النسيم العليل ينمش  
قلبه ويحيي ميت آماله ، هكذا ونحن في وسط مزاحمت  
هذا العالم الغربي المزدهم الملتصق بمحبة المادة وقد اثقلت  
المصالح العمياء المتضاربة كواهلنا تنفس الحياة والرجاء  
السعيد عند ما تهب علينا نسمة من نسائم الشرق الروحي  
الخالد .

اجل ، ان الغرب قد نبى صروحه وابنيته الشاهقة المتينة  
من الفولاذ والحجارة : وقيد جداوكة الشاردة في مجاهل

الارض واستخدمها لتدير مصانعه ومعامله وتجهزه بالقوة  
اللازمة لما استنبطه من الآلات والاختراعات ، وتوفر ،  
لاجل رفاهية الناس وراحتهم ومسراتهم ومنافعهم ،  
جميع الحاجات المادية التي هي كل يوم في ازدياد وعليها  
ترتكز مدنيتنا الحديثة .

اما الشرق فلم يشيد مثل هذه الصروح . بل كان كسولاً  
بطيئاً في اقتبال ثمرات عبقريتنا ونبوغنا . ولكنه ما برح  
يحلم أحلامه البعيدة ويرى رؤى وحيه السماوية السعيدة .  
فالعرب وضع قوات الطبيعة تحت قدميه وامرها ان تنوب  
عنه في التعمير والبناء . واما الشرق فقد اكتفى بالتأمل في  
جمال عيني الطبيعة والتلذذ برؤية مجدها غير المتغير . ففي  
العرب كان يتصاعد صفير الالوف والملايين من الآلات  
التي لاتتمتع عن عملها . وفي الشرق كانت تتصاعد ترانيم  
الشعراء وتأملات الفلاسفة . العرب قدم لنا عالماً مترجماً  
مشغولاً مجدداً . والشرق أنم علينا يعطاي النبوة والشعر

والفلسفة . ومن الشرق بزغت انوار الرصانة ، والهدوء ،  
والوقار ، والسكينة ، والوحدة ، والعظمة الروحية التي اثمرت  
للعالم اشهى الثمرات العقلية والغفسية .

ولاجل ذلك ظل الغرب غرباً والشرق شرقاً فلا يستطيع  
الواحد ان يفهم لغة الآخر ؛ بل ان فكراً الواحد ، بماله  
من المميزات الخاصة ، يبدو غريباً بعيداً عن فكر الثاني ولا  
صلة بينهما . وقد شعرت بهذه الحقيقة ووثقت بها الثقة كلها  
عند ما قدمت لكم نتيجة درسى لمؤلفات رايندرانو ث طاغور  
وفلسفته . واني لأزداد شعوراً وثقة بهذه الحقيقة اليوم  
اذ آتى لى ادرس معكم درساً خاصاً للكتاب الاخير الذى  
وضعه جبران خليل جبران ، الشاعر والرسام الفنان والقياسوف  
والصوفى النابغة ، الذى وجدت فيه عاطفة الشرق الملهبة  
ونفسه العميقة فما ينطق بالحكمة وصوتاً يرتفع مستنزلاً  
للكثير من وحي الشرق الروحي الى الغرب المادى .

وقد وعى هذا العبقرى فى شخصيته الفريدة عزيمة بالغة



وقوة نادرة وأعجب ما فيها أنهما رفيقتا اللطف والوداعة والرفقة المتناهية . وقد احسن من قال فيه ، ان مركز رودين في النحت هو كـمركز جبران في الآداب والفنون . وتتضح الدقة في هذه المشابهة لمن حظى منكم بزيارة معرض رودين في باريس حيث يحفظ الكثير من التماثيل الحجرية التي عملها هذا الاستاذ النحات العظيم . وربما كان ذلك أوضح لمن زار اللوكسبرج ونظر اعمال رودين هناك . ففي كل عضو من كل تمثال من صنع هذا الفنان الكبير ترسم علامة القوة البالغة والعزم بطريقة ظاهرة لا تخفى على ابسط المتأملين . واكثركم يتذكر هذا في عمله المشهور ، « المفكر » . ومع ذلك فان وراء القوة الجبارة التي هي جزء من عمل رودين ، نرى اللطف والرفقة — بل التناهي في الدقة .

ومثل هذه الصفات والميزات البارزة ترسم امام كل من يقرأ جبران . فان مؤلفاته ورسومه تنفض عليك انقضا العاصفة ولكنها لاتمسك بسوء ، بل تشفيك وتقويك . فلا

أثر للتردد فيها عند ما تحارب ضعفاتك وتقوم اعوجاج حياتك . ولكنها في الوقت نفسه لطيفة لا تثير غضبك .

والحقيقة التي لا مرية فيها ، ان ما يراه البعض تناقضاً مطرداً في الروح ، يرافق اعمال هذا الرجل الشرقي من ألفها الى يائها . فجيران رجل يكتب الفلسفة بقالب شعري فتان ، ولكن بثقة الفيلسوف البالغ الحكمة الذي يقدم لك افكاراً ممتلئة بروح الشعر والغناء قلما يقربها سواه الا عن طريق الشعر واوزانه . وهو كجميع عظماء الشرق ، كثير الاحلام بعيدها ، بيد ان احلامه كلها فلسفة عملية . فهو يدعو الناس الى التأمل في نجوم السماء ، ولكنه لا يجعلهم يتناسون انهم ابناء الارض . ويؤمن بان الخير خالد غير محدود ولا مرتبط بزمان او مكان ، ولكنه لا يمكن ان يتمتع به الا الذين يجاهدون ويتعبون في الحصول عليه . وهو يسلم بحقيقة الألم ولكنه يهتف بالناس قائلاً :

« ان كأس الألم وان احرق شفاهكم ، فهي مصنوعة

من الطين الذي جبلتهُ يدا الفخارى الازلى بدموعه المقدسة .  
ويعرف ان اليوم يخص كل انسان وان الازلية مثل  
اليوم ، لانهُ كما يقول :

« ليس الامس سوى ذكرى اليوم وليس الغد سوى  
حلم اليوم . »

فهو صوفى كما ترلينك . ولكن صوفيتهُ لا تنممهُ من  
ان يرى بملء الوضوح الاشياء التى لها وجود حقيقى حوله .  
وكثيراً ما يشعر القارىء بميل الى ان يتصورهُ ناسكاً زاهداً .  
ولكنهُ يعرف ان الطيبات والملاذات يمكن ان تكون سالحة ،  
وان مجرد كونها طيبات لذيات يحول دون كونها شريرة  
بطبيعتها ، وفى ذلك قولهُ :

« ولعلك تسألُ فى قلبك قائلاً ، « كيف نستطيع ان نميز

بين الصالح والشرير من الملاذات ؟

فاذهب الى الحقول والبساتين ، وهنالك تتعلم ان لذة

النحلة قائمة في امتصاص العسل من الزهرة ،  
ولكن لذة الزهرة ايضاً تقوم بتقديم عسلها للنحلة .  
والنحلة تعتقد أن الزهرة ينبوع الحياة ،  
والزهرة تؤمن بان النحلة هي رسول المحبة المحيية ،  
والنحلة والزهرة كلتاها تعتقدان أن اقتبال اللذة وتقديمها  
حاجتان لا بدّ منهما وافتتان لاغنى للحياة عنه . »

فهو لا يحتقر ، كالناسك المتقشف ، رفاهية العيش  
وطيبات الارض . ولكنه يُعرف جيداً كيف يميز بين  
الطيبات التي تزيد في كمال الحياة وعزمها ، وتلك التي تضلُّها  
وتعمل على فقرها وذلها . وفي ذلك يقول :

« بربكم اخبروني ، يا ابناء أورفليس ، ماذا تملكون في  
بيوتكم ؟ واى شىء تحتفظون به داخل هذه الابواب  
الموصدة ؟

هل عندكم السلام ، وهو القوة الصامتة التي تظهر  
عزيمة ذواتكم في اعماقكم ؟

هل عندكم التذكريات ، وهي القناطر اللامعة التي تصل  
فَنَنَ الفكر الانساني بعضها ببعض ؟

هل عندكم الجمال ، الذي يرتفع بالقلب من مصنوعات  
الخشب والحجارة الى الجبل المقدس ؟

بربكم اخبروني ، هل عندكم كل هذا في بيوتكم ؟ ام  
عندكم الرفاهية فقط والتحرق للرفاهية المزوج بالطمع ،  
الرفاهية التي تدخل البيت ضعيفاً ، ثم لا تلبث ان تصير مضعيفاً ،  
فسيداً عاتياً عنيفاً ؟

ثم تتحول الى زائض جبار يتقلد السوط يمينه  
والكلاب يساره متخذاً رغباتكم الفضلى العوبة يتلهم بها .  
ومع ان بنان هذه الرفاهية حريرى الملمس فان قلبها  
حديدى صلد .

فهي تهديء من حدتكم لتناموا ، ثم تقف امام اسرتكم  
هازئة بكم وبجلال أجسادكم .

تضحك من حواسكم المدركة وتطرح بها بين الاشواك

كانها أوعية سهلة الانكسار .

لان التحرق للرافاهية ينجر أهواء النفس في كبدها  
فيرديها قتيلة ، ثم يسير في جنازتها فاغراً شديقه مرغياً  
مُزبداً . »

ويلوح لى انكم من هذا القليل الذى قدمته لكم ،  
تستطيعون ان تتحققوا انه مع ان هذا الانسان يتكلم  
بلغة لا نقدر نحن ابناء الغرب الغارقين فى احوال المشقات  
والمصالح المادية ، ان نفهمها وندرك الغاية الروحية البعيدة  
التي يرمى اليها ، فهو يتكلم عن افكار تخطر لكم ولى وعن  
حاجات هى حاجاتكم وحاجاتى — افكار وحاجات تبلغ بالحقيقة  
الى صميم قلب فكرتنا وتنفذ الى اعماق نفوسنا ، وهى وان  
كانت فى الغالب تنكىء غافلةً فى كياننا ، فهى ترغم على الظهور  
فى حياتنا فنعترف بها للحال عند ما يصورها لنا امثال جبران  
بمثل هذا الوضوح .

ولذلك اقول ان هذا الرجل ليس حالماً ورائياً فحسب .

بل هو فيلسوف بالغ الحكمة في إيضاح ما خفي من أسرار الحياة ومكوناتها. وإذا حلت أفكاره وفلسفته، اتضح لك أن الفلسفة النابغة من كل جزء من أجزائها لا تنحصر بالفرد، بل هي فلسفة اجتماعية إذا أدركت الجماعات والشعوب فخواها وعملت بها كانت خير وسيلة لسعادتهم وطمانينتهم في هذه الأرض.

وأود هنا أن أقول كلمة واحدة في مؤلف الكتاب الذي نجتمع اليوم لدرسه وتحليل فلسفته. واني لا أقدر أن أقول كثيراً في الرجل لأنني لم يتيسر لي أن أجمع معلومات كثيرة عنه. بيد أننا نعرفه كمؤلف لغير واحد من الكتب النفيسة باللغة الانكليزية، أهمها « الجنون » وقد طبع سنة ١٩١٨ و « الرسوم العشرون » طبع سنة ١٩١٩ ( - والمؤلف رسام رمزي فنان وجميع الرسوم التي تظهر في مؤلفاته إنما تبرزها ريشته الساحرة - ) والمطبوع سنة ١٩٢٠.

وُلدَ في سورية، وقد دُعي بحقِّ أعظم شعراء الشرق الأدنى . وفي مقدمة الميزات التي يتفرد بها جبران متفوقاً على جميع الكتّابة والشعراء والفلاسفة الذين جاؤوا من الشرق إلى الغرب ، انه لا يزال شديد التعلق بروح بلاده وتأملاتها البعيدة ، وهو في الوقت نفسه غير متصامٍ عن الاصغاء إلى صوت مدينة العالم الجديد الضاجة الصاخبة وجميع اختراعاتها واستنباطاتها .

وكل من يطالع « النبي » بفهم روي وبصيرة عقلية ، لا يستطيع أن يغمض الطرف عن هذه الحقيقة . فالنبي مع أنه طبع المرة الأولى منذ أقل من خمسة عشر شهراً [ في ايلول سنة ١٩٢٣ <sup>(١)</sup> ] فقد أعيد طبعه ثلاث مرات في هذه

(١) التي المعلم فرانكل هذه الخطبة صباح الاحد في ٢٨ اكتوبر (ديسمبر) سنة ١٩٢٤ . ويسرنا ان ننقل للقراء الادباء هذه الفقرة من رسالة وردت علينا في أواخر شباط سنة ١٩٢٦ من الصديق جبران تظهر اقبال رجال الادب على الكتاب في جميع أنحاء العالم . قال جبران : « كل ما استطيع ان اقوله لك الآن في الكتاب الصغير ، الذي هو جزء من حشاشتي ، انه قد بلغ الطبعة العاشرة ( بالانكليزية ) وانه قد ترجم الى عشر لغات



المدة القصيرة مما يدل على شدة اقبال جمهور المتأدين من  
الاميركيين والانكليز على مطالعته . وهذا الاقبال العظيم  
على كتاب وضع للخاصة من الأدباء وقلمها ينطبق على رغبات  
الجمهور السطحية التي لاتعمد الروايات والقصص الغرامية  
المملوءة بالأخطار والمحشوة بالأكاذيب ، يدل دلالة واضحة  
على جمال الاسلوب الذي لجأ إليه المؤلف في تأدية حقائقه  
الخالدة للناس . « فالنبي » لا يعرف من القصة إلا ظاهرها .  
لانه بالحقيقة سلسلة مقالات تبحث بحثاً فلسفياً سامياً في الحياة  
البشرية وحاجاتها ورغباتها من المهد إلى اللحد . والحق يقال

اورية والى اليابانية والهندستانية من اللغات الشرقية . و « الجدل على  
الجرار » . وأما رأى القوم في الكتيب من وودرو ولسون الى أكبر  
شاعر انكليزي ، الى أشهر كاتب فرنسي الى غاندى الهندي الى العامل  
البسيط الى الزوجة والام فما لم انتظره أو أتخيله قط . ولذلك أجد نفسي  
منحجولاً في بعض الاحيين أمام عطف الناس وكرمهم . »

واننا لانشك في أن قراء العربية سيستقبلون « النبي » العربي الذي  
هو ثمرة نبوغ ابن بلادهم بما لا يقل عن الاجانب فلا تنطبق عليهم الآية ،  
« ليس نبي بلاكرامة الا في وطنه وبين أهله . » المترجم

انهُ قلما يوجد موضوع من المواضيع الهامة في الحياة التي هي شغل الناس الشاغل في دوائرهم العلمية العليا لم يطرقه المؤلف - فكان في بعض هذه المواضيع موجزاً وفي بعضها مسهباً - في هذا الكتاب الصغير بعدد صفحاته الكبير يبالغ حكمته وخالد آياته ، ولذلك لا يخطر لك ان قلة صفحات هذا الكتاب تحملك على الظن أن في استطاعتك أن تقرأه في وقت قليل . فهو من الكتب الفريدة في العالم « كالكوميديّة الالهية » لدانتى ، و« الفردوس الضائع » لملتون ، و« سفرى أيوب » و« أشعياء » وأكثر كتب التوراة ، الكتب التي يجب أن تقرأ أولاً وثانياً وثالثاً وعاشراً وفي كل يوم وكل ساعة ، إذا كان القارئ يود إدراك جواهرها والحصول على دررها . وتتضح لكم عظمة الكتاب من سرد بعض المواضيع التي يطرقها المؤلف فيه ، مثل الحب والزواج ، الأولاد ، الأخذ والعطاء ، العمل واللعب ، الفرح والترح ،

الأكل والشرب، البيع والشراء، البيوت والشباب، الجرائم  
والعقوبات، الشرائع والحرية، الخير والشر، الألم، اللذة،  
الصدقة، الجمال، الدين، الموت، الخلود. وليست هذه جميع  
المواضيع التي بحث عنها المؤلف في كتابه .

وإن شئنا أن نسعى الطريقة التي لجأ إليها المؤلف  
في كتابه قصة فهي تبدأ بذكر نبي مختار حبيب دعاه المصطفى  
وقد انتظر اثنتي عشرة سنة في مدينة أورفليس مترقباً عودة  
سفينته إلى المدينة لكي يركبها عائداً إلى الجزيرة التي وُلد  
فيها . وفي أثناء الاثنتي عشرة سنة التي قضاها في الترقب  
والانتظار، كان يعلم أبناء أورفليس ويهذبهم حتى علقته  
قلوبهم وعشقتهم أرواحهم وصار لديهم موضوع إعجاب واحترام  
مما لم يستطع معلم آخر أن يفعله بينهم . فقد أعطاهم من كل  
ما كان له من الحكمة والمعرفة ولكنه لم يقبل إلا القليل من  
عطاياهم . فلم يكن يجلس إلى موائدهم ولم يرض قط أن يدخل  
مساكنهم التي طالما فتحوها له من صميم قلوبهم ، فكان

يفضل أن يجوب الغابات ويتنقل في الأحراج مفترشاً الغبراء  
وملتحفاً السماء .

وأخيراً وصلت سفينتهُ ودنت الساعة ليفارق الشعب  
الذي نشأ على حبه واحترامه . ولكن الكآبة استولت على  
قلبه لدى مجرد افتكاره بفراق أبناء روحه ولذلك نراه يقول :  
« قد كانت أيام كآبتي طويلة ضمن جدران هذه  
المدينة ، وأطول منها كانت ليالي وحدتي وانفرادي ، ومن ذا  
يستطيع أن ينفصل عن كآبته ووحده من غير أن يتألم  
في قلبه ؟

كثيرة هي أجزاء روحى التى فرقها فى هذه الشوارع ،  
وكثير هم أبناء حنينى الذى يمشون عرأة بين التلال ، فكيف  
أفارقهم من غير أن أثقل كاهلى وأضعف روحى !  
فليس ما أفارقه بالثوب الذى أزرعه عنى اليوم ثم ارتدى  
به غداً ، بل هو بشرة أمزقها يدي .

كلا ، وليس فكراً أخلفه ورأى ، بل قلباً جمّتهُ

جماعتي وجعله عطشى رقيقاً خفوقاً .  
وفيما هو ذاهب إلى سفينته لقيه الشعب بأسره ، صغاراً  
وكباراً ، وطفقوا يضرعون إليه أن يمكث بينهم برهة  
وجيزة . وقال له أحدهم :

« لا تجعل عيوننا تشوق لرؤية وجهك »  
وقال له آخر :

« قد تعشقتك قلوبنا وعلقتك أرواحنا ، ولكن محبتنا  
تقتعت بقتع الصمت فلم نستطع أن نعبّر عنها .  
بيد أنها تصرخ إليك . الآن بأعلى صوتها ، وتمزق  
قممها بيديها لكي تظهر لك حقيقتها .

فان المحبة منذ البدء لا تعرف عمقها إلا ساعة الفراق »  
ثم جاء إليه كثيرون متوسلين متضرعين ، وكانت بينهم  
امرأة خرجت من المقدس اسمها المطرة ، وكانت عرّافة  
فنظرت إليه نظرة ملؤها العطف والمحبة لأنها كانت أول  
من سعى إليه وآمن به عند ما لم يكن له إلا ليلة وضحاها  
في مدينتهم . ثم قالت له :

« إننا واحدة نسألك قبل أن تفارقنا :

أن تخطب فينا وتعطينا من الحق الذى عندك . ونحن  
نعطيه لأولادنا وأولادنا لأولادهم وأحفادهم ، وهكذا  
يثبت كلامك فينا على ممر العصور .

ففى وحدتك كنت ترقب أيامنا ، وفى يقظتك كنت  
تصفى إلى بكائنا وضحكنا فى غفلتنا .

لذلك نضرع إليك أن تكشف مكنوناتنا لذواتنا ،  
وتُخبرنا بكل ما أظهر لك من أسرار الحياة ، « من المهد  
إلى اللحد » .

فأجاب سؤالها ولم يخيب طلبتها ، وشرع يخاطب كلاً  
فى دوره بحسب السؤال الذى يطرحه عليه . والملاحظ  
البصير يدرك من مطالعة هذه الأسئلة أن كل انسان كان  
يسأله ما هو فى حاجة إليه رجلاً كان أو امرأة . فالمرأة تسأله  
عن الأولاد ، والغنى يسأله عن العطاء ، والفلاح عن العمل .  
والشاب عن الصداقة ، والشاعر عن الجمال ، والكاهن عن

الدين ، والعرفة عن الحب والزواج وأخيراً عن الموت  
والابدية .

واننى قاصرٌ عن ان أصف لكم فى هذه الخطبة الحاضرة  
آراء المؤلف فى جميع المواضيع التى يعالجها فى كتابه . لاننى  
لا ابالغ البتة اذا قلت ان كل خطبة من خطبه كافية لان  
تكون اساساً متيناً لاية عظة من العظات الكبرى . وكل  
ما اود ان ابلغ اليه فى هذا الخطاب الحاضر أن اشير الى اتساع  
فكر المؤلف وسموِّ حكمته وهكذا استطيع ان اقودكم الى  
حيث تستطيعون ان تتبعوه فى طريقه ومسالكه الصعبة  
الضيقة ( وما اصعب الطريق التى تؤدى الى الحياة ) بسهولة  
تامة ربما لا تكون لكم بغير هذه الوسطة .

فقد سبقت فوضحت لكم ان لجران فلسفة اجتماعية  
لا يضيع الفرد فيها فى جسم الجماعة ، ولا يستطيع فى الوقت  
نفسه ان يدرك فى كمال وحدته معنى الحياة الكامل ويبلغ الى  
عزة اقتدارها . او بمباراة اخرى ، ان كل انسان يجب ان

يقف وحدهُ في الحياة ، فيفكر بمقياس فكره الخاص ،  
ويُبنى بحلِّ مشاكله الخاصة ، ويحيا حياته على وفق رغبات  
قلبه . وفي ذلك يقول المؤلف :

« لأن الوحي الذي يهبط على رجل ، لا يعير جناحيه  
لغيره .

وكما ان لكل منكم مقاماً منفرداً في معرفة الله اياه ،  
هكذا يجب عليه ان يكون منفرداً في معرفته لله وفي ادراكه  
لاسرار الارض . »

ومن الجهة الاخرى يجب على الانسان ان يضع نصب  
عينيه انه مقيدٌ في هذا العالم بمئات الروابط التي تربطه باخوته  
في الانسانية ، وانه لم يبلغ الى الدرجة التي هو فيها الا بما كان  
لحياتهم من التأثير في حياته . وان حياتهم ايضاً تتكيف  
وتتطور بالتأثير الخفي الذي لحياته فيهم وان كان يغفل عن هذا  
التأثير في غالب الاحيان . او كما قالت القدماء ، « مامن رجل  
يعيش وحدهُ في العالم او يحيا لذاته دون سواه . » فالفرد



يشارك الكل في قسمتهم والكل يشاركون الفرد في قسمته .  
وقد اوضح لنا جبران هذه الفكرة بقطعة فتاة من  
كتابهِ وضمناها اولاً اخلاق الناس وطبائعهم، وثانياً الشفقة  
البالغة على الذين يخيل اليها انهم سقطوا عن درجة الرجل  
العادي من الناس . ثم يضيف الى ذلك كله تويخاً لطيفاً مؤثراً  
للرجل الذي ينتفخ بروح العجب والكبرياء على رفقائه لانه  
استطاع ان يبلغ الى درجة من الرقي والآداب لم يقدر رفقاؤه  
ان يصلوا اليها . وهذا ما يقوله المؤلف في الموضوع :

« قد طالما سمعتم تتخاطبون فيما بينكم عن يقترف أئماً  
كانه ليس منكم ، بل غريب عنكم ودخيل فيما بينكم .  
ولكنني الحق اقول لكم ، كما ان القديس والبار  
لا يستطيعان ان يتساميا فوق الذات الرفيعة التي في كل منكم »  
هكذا الشرير والضعيف لا يستطيعان ان ينجدرا الى  
أدنى من الذات الدنيئة التي في كل واحد منكم .

وكما ان ورقة الشجر الصغيرة لا تستطيع ان تحول لونها

من الخضرة الى الصفرة الا بارادة الشجرة ومعرفتها الصامتة  
في اعماقها ،

هكذا لا يستطيع فاعل السوء بينكم ان يعترف اثمًا  
بدون ارادتكم الخفية ومعرفتكم التي في قلوبكم .

فانكم تسيرون معاً في موكب واحد الى ذاتكم الالهية .  
أنتم الطريق وانتم المطرقون .

فاذا عثر احدٌ منكم فانما تكون عثرتهُ عبرةً للقادمين  
وراءهُ فينتبهون للحجر الذي عثر به .

اجل ، وتكون عثرتهُ تويخاً للذين يسيرون أمامهُ  
باقدام سريعة ثابتة لانهم لم ينقلوا حجر العثار من طريقه .  
ثم يقول :

« لذلك لا تستطيعون ان تضعوا حداً يفصل بين  
الاشرار والصالحين والابرياء والمذنبين :

لانهم يقفون معاً أمام وجه الشمس ، كما ان الخيط  
الايض والخيط الأسود ينسجان معاً في نول واحد .

فاذا انقطع الخيط الاسود، ينظر الحائك الى النسيج  
بأسره، ثم يرجع الى نوله يفحصه وينظفه. «  
وفي موضع آخر يقول:

« وان رغب احدٌ منكم في أن يضع الفأس على أصل  
الشجرة الشريرة باسم العدالة فلينظر أولاً في اعماق جذورها:  
وهو ولاشك واجدٌ أن جذور الشجرة الشريرة وجذور  
الصالحة، المثمرة وغير المثمرة، كلها مشتبكة معاً في قلب  
الارض الصامت. »

وانني اشعر ان مثل هذه الكلمة الخالدة يجب ان تقع  
على الذين يدينون غيرهم من الناس، كأنها رسول الرحمة والمحبة،  
يذكرهم انه ليس بالعسير الشاق عليهم ان يتصوروا مركزهم  
ومركز قريبتهم الذي يريدون ان يحكموا عليه ثم يضعوا ذواتهم  
في موضعه، وحينئذ يقلعون عن دينوثته.

والحقيقة التي لا مبرية فيها ان جبران هو من بداءة هذا

الكتاب الى نهايته نبي محبة وسلام . فهو يدعو كل انسان الى القيام بعمله بروح المحبة . ولذلك نراه يعرف العمل بقوله ، « ان العمل هو الصورة الظاهرة للمحبة الكاملة . » ثم يقول :

« وقد ورثتم عن جدودكم القول بان الحياة ظلمة ، فرحتم في عهد مشقتكم ترددون ما قاله قبلكم جدودكم المزعجون .

بيد اننى الحق اقول لكم ، ان الحياة ظلمة حقيقية اذا لم ترافقها الحركة ،

والحركة تكون عمياء لابركة فيها ان لم ترافقها المعرفة ،

والمعرفة تكون عقيمة سقيمة ان لم يرافقها العمل ،

والعمل يكون فارغاً وبلا ثمر ان لم يقترن بالمحبة .

لانكم اذا اشتغلتم بمحبة فانما ترتبطون ذوا تكم وأفرادكم

بعضها ببعض ، وترتبطون كل واحد منكم بربه .

وما هو العمل المقرون بالمحبة ؟

هو ان تحوّل الرداء بخيوط مسحوبة من نسيج قلبك ،

مفكراً ان حبيبك سيرتدى ذلك الرداء .

هو أن تبني البيت بحجارة مقطوعة . من مقلع حنانك  
واخلاصك ، مفكراً ان حبيبتك سيقطن في ذلك البيت .

هو أن تبذر البذور بدقة وعناية وتجمع الحصاد بفرح  
ولذة كأنك تجمعهُ لكي يقدم على مائدة حبيبتك .

فالعامل هو الصورة الظاهرة للمحبة الكاملة .

ويجدر بنا ألا ننفل عن الحقيقة التي يوضحها لنا جبران

بان عمل اليدين مع قداسته ليس بالعمل الوحيد الذي تلازمه  
البركة . فهناك عمل آخر غير مصنوع باليدين يصفهُ لنا قائلاً :

« وان جاءكم المغنون والراقصون والمازفون ، —

فاشتروا من عطاياهم ولا ترفضوهم :

لانهم يجمعون الاثمار والطور نظيركم ، ومع ان  
ما يقدمونه لكم مصنوع من مادة الاحلام فانه أجمل كساء  
وافضل غذاء لنفوسكم . »

وهكذا، ايها الاخوة ، اذا قرأنا هذا الكتاب من

الصفحة الاولى الى الاخيرة نرى في كل صفحة بل في كل

سطر من سطوره فيضاً روحياً خالداً يتدفق من معين نفس عظيمة غنية بعطايا الحكمة والمعرفة . حتى انه عند ما يتكلم عن الاشياء التي نسميها بعرفنا مادية ، كالبيع والشراء ، والا كل والشرب ، نرى في كلماته عاطفة روحية وقوة اديية تأخذان بمجامع القلوب حتى ليجد القارئ نفسه مرغماً على الانكباب عليها بكل ذهنه مما يندر ان نجد في كتب نوابغ المفكرين . ولذلك لا يدهشنا ان تكون له مثل هذه الجاذبية للقلوب عند ما يعالج المواضيع الروحية التي لا أثر للمادة فيها . فان كلاً منا نحن الاميركيين يتمثل أمامه واعظاً من فطاحل وعاظنا ينادى قومه المتمرغين في حماة المادة والمستسلمين لسلطانها ويحثهم على التحرر منها والالتجاء الى مملكة الروح الخالدة عند ما يسمع جبران يخاطب العرافة المطرة قائلاً :

« انك تصلين في ضيقتك وفي حاجتك ؛ ولكن حبذا لو أنك تصلين في كمال فرحك ووفرة خيراتك .

انا لا استطيع ان أعلمك الصلاة بالالفاظ ،  
لان الله لا يصنى الى كلماتك ما لم يضعها تعالى اسمه على  
شفتيك وينطق بها بلسانك . »

ولجران نظرة حكيمة وعقيدة راسخة في الدين . فهو  
يعتقد أن الدين لا ينحصر في الزمان والمكان . لانه كما قال  
احد معلمينا القدماء ، « جميع الاشياء مقدسة . » والانسان  
لا يستطيع ان يميز جيداً بين الديني والديوي . ولذلك يجب  
ان يلازم الدين حياة الانسان في جميع طرقه ومسالكه . وان  
تظهر ثماره في كل مظهر من مظاهر فكره وحياته . لان  
البرهان على وجود الدين وعمله في الوجود انما هو في حياة  
الانسان وليس في اى شىء آخر خارج عنها ، ولذلك فان  
جبران يعتقد ويعلم بكتابه هذا ان الدين يكون حقيقة لا ريب  
فيها في حياة الانسان اذا كان الانسان يستقبل الصالح النافع  
الذى تقدمه له الحياة شاكراً فرحاً واثقاً بانه عطية الله ،  
ويستقبل الضار المحزن ثابت العزم شجاعاً صبوراً لانه يعرف

بما في قلبه من عاطفة الدين ان هذا ايضاً هو عطية من الله .  
وقد اوضح جبران بطريقة فتاة ان الانسان التقى  
الفاضل الذي يحفظ في قلبه خيرة الدين والفضيلة التي تخمر  
الحياة باسرها لا يكتفى بان يقبل ماتقدمه له الحياة من العطايا  
الربانية شاكرًا بل هو ذلك الذي يفرح بعطايا الحياة ثم  
يشكر الله الذي جعله أهلاً لأن يعطى المحتاجين ما هم في  
حاجة اليه من هذه العطايا التي نالها . وهاك ما يقوله المؤلف  
في هذا الموضوع :

« وكل من يعتقد أن العبادة نافذة يفتحها ثم يغلقها ،  
فهو لم يبلغ بعد الى هيكل نفسه الذي نوافذه مفتوحة من  
الفجر الى الفجر .

ان حياتكم اليومية هي هيكاكم وهي دياتكم .  
نخذوا معكم كل مالكم عند ما تدخلون هيكلها .  
خذوا السكة والكور والمطربة والطنبور ،  
وكل مالديكم من الآلات التي صنعتموها رغبة في



قضاء حاجاتكم او سعياً وراء مسراتكم وملذاتكم .  
لانكم لا تستطيعون ان ترتفعوا بتأملاتكم فوق  
أعمالكم ،

ولا تقدرّون ان تنحدروا بتصرفاتكم الى أدنى من  
خيبتكم .

وليرافقكم جميع معارفكم من ابناء الانسان :  
لانكم لا تستطيعون في عبادتكم ان تحلقوا فوق آمالهم  
ولا أن تضعوا ذواتكم الى أحقر من يأسهم .  
وان شئتم ان تعرفوا ربكم فلا تُعنوا بحل الأُحاجي  
والأُلغاز ،

بل تأملوا فيما حولكم تجدوه لآعباً مع اولادكم .  
وارفعوا انظاركم الى الفضاء الواسع تبصروه بمشي في  
السحاب ، ويبسط ذراعيه في البرق ، وينزل الى الارض مع  
قطرات المطر .

تأملوا جيداً تروا ربكم يبتسم بثغور الازهار ، ثم

ينهض ويحرك يديه بالأشجار . «  
وان مَنْ أُسْعِدَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ فِي الدِّينِ ،  
تَقْوَىٰ إِيمَانَهُ وَتَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ السَّمَاوِيَّ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَقْبَلَ  
الْحَيَاةَ بِحَرَمٍ وَثَبَاتٍ وَيَقْتَبِلَ الْمَوْتَ بِلَا خَوْفٍ وَلَا وَجَلٍ .  
والموت — كما يقول جبران — لا نقدر ان نجده الا في قلب  
الحياة .

« لان الحياة والموت واحد كما ان النهر والبحر واحد  
ايضاً . »

وهكذا نرى هذا العبقرى الحكيم يبعث من اعماق  
قلبه اصدق الآمال بالخلود والابدية وهو ابدًا ثابت الايمان  
بصلاح الله ورحمته وعدالته . وما اجمل قوله في الموت :  
« وهل موت الانسان هو اكثر من وقوفه عارياً في

الريح وذوبانه في حرارة الشمس ؟

انكم لاتستطيعون ان تترنموا بالاناشيد حتى تشربوا  
من نهر الصمت ،

ولا تستطيعون ان تباشروا الصعود الى الجبال حتى  
تبلغوا الى قننها ،

وَلَنْ تَقْدَرُوا أَنْ تَرْقُصُوا حَتَّى تَسْلُبَكُمْ الْأَرْضُ جَمِيعَ  
أَعْضَائِكُمْ . »

واننى اصار حكم القول ، ايها الاصدقاء ، معترفاً اننى لم  
يسبق لى قط أن تحركت نفسى من اعماقها كما حصل لى بعد  
ان قرأت هذا الكتاب المرة بعد المرة . فلماذا أثر فى حياتى  
كل هذا التأثير البالغ ؟ وهل يكون له نفس هذا التأثير فى  
حياة غيرى ؟ اننى لا استطيع ان اجيب عن غيرى ، ولكننى  
اعرف تمام المعرفة ان ما احدهُ هذا الكتاب فى حياتى ناجم  
عن انهُ أوضح بكمال الدقة والفن والجمال ما يخيل الى الناظر  
اليه انهُ فلسفة جديدة فى الحياة ، ولكننى اعرف انهُ ليس  
بالجديد البتة ، فى اقوال جبران اسمع ثانية ترانيم المرثمين  
القدماء ، وتعاليم الانبياء والحكماء وغيرهم من رجال العهد  
القديم الذين تكلموا باسم اله اسرائيل العظيم . واننى

اجدُ ثانی مرّةٍ فی نفس جبران ، التي وَجَدَتْ سبيلها الى الاتحاد  
بنفس الوجود العظمى ، ذلك الافتتان بالروح الالهية التي  
ملأت حياة معلمى اسرائيل وحملتهم بوحيا العجيب على  
النطق بكلمات خالدة لم يزدها كرور الايام الا جدةً وقوة .  
ومن فم هذا المعلم الجديد جبران أُسمع في هذا القرن العشرين  
بشارة اليهودى الحكيم القديم : بشارة النور والمحبة : بشارة  
الانسانية المقدسة : البشارة المعلمة ان الانسان اخٌ للانسان  
وان الله اب لجميع الناس على السواء .

ولذلك فانى لا استمد من هذا الكتاب وحيًا لفكرى  
فحسبُ بل اتخذ منه أَمالاً نيرّات لقاى كرجل اسرائيلى  
لاغش فيه . لاننى أرى فيه دليلاً جديداً على ان الرسالة  
الروحية العظمى التي نشرتها اليهودية القديمة قد اصبحت  
الرسالة السماوية التي يسلم بها كبار المفكرين والمفكرات  
فى جميع العصور والامصار ، وان السنة الانبياء الفضية فى  
العالم الجديد تنقل للناس الرجاء النبوى العظيم وتقودهم اكثر

فأكثر الى تحقيق الرؤيا التي رآها اسرائيل القديم حينما  
« يكون الله واحداً واسمه واحداً . »

ليس جبران يهودياً بطائفته ولكنهُ يهودى بروحه .  
لان اليهودى ليس الخارج من صلب يهودى فقط ، بل هو  
ذالك المتلى بروح الايمان بالله الذى يقدر حياة الانسان  
ويرفعها الى الجبل المقدس الذى ترنم به المرنم بقوله :

« مَنْ يصعد الى جبل الرب ؟ او من يقوم فى ديار  
قدسه ؛ الطاهر اليدين والنقى القلب : الذى لم يحمل نفسه الى  
الباطل ولم يحلف بالفضة لقرينه . هذا ينال بركة من الرب  
وبراً من اله خلاصه . هذا هو جيل طالبيه ، ملتضى وجهك  
يا اله اسرائيل . »

« انتهى »

# مؤلفات جبران خليل جبران

تطلب من مكتبة العرب بالفجالة بمصر

## الْبَلَدُ وَالطَّرِيقُ

ابدع مجموعة ظهرت من تأليف جبران خليل جبران الشاعر  
الناتروالراسم الشاعر وكفى . رسومه الساكثة الناطقة بهجة الانظار  
واقواله المنشورة سارت سير الامثال  
واشعاره المنظومة ، وان قلت ، طرفٌ يتناشدها الادباء  
في الاسمار والاسحار فيها الابر وفيها الحكم والعبر  
لكنها ، مسطورةٌ في هذه المحلة او تلك ، الصحيفة درراً كثيرة  
وحوراً مبعثرة ، تكلف الفواص عليها وقتاً وعنناً فرأينا ان نفر له  
الوقت يضيع سدى ونحتمل عنه العنت . فجمعنا ، بعد العناء ما تبدد  
من مقالاته المانعة ومنظوماته الرائعة ورسومه الوسيمة الفاتنة كل  
جديد طارف محلى بسبعة عشر رسماً الى اكبر مشاهير العرب  
كأبو الطيب المتنبي وابن خلدون ومجنون ليلي وابو العلاء المعرى  
وابو نواس وابن سينا والغزالي وابن الفارض والمعتمد بن عباد  
والخنساء وغيرهم من مشاهير السلف والكتاب يقع في ٢٢٥ صفحة  
بالقطع الكبير وثمنه ١٥ قرشاً والبريد ٣ قروش



المواكب من مؤلفات جبران الرمزية الشعرية . وهو مؤلف  
من قسمين اوليين : الرسوم والقصائد . اما القصائد او بالحري  
القصيدة فهي مؤلفة من مقاطع تبحث في مواضيع مختلفة فلسفية  
يتكلم بها سلباً وإيجاباً شخصان في موضوع واحد . فالشخص الاول -  
وهو الشيخ أو الفيلسوف المختبر خبرةً - يقف خطيباً على منبر  
الحياة ويكرر محاولاً تفسير اسرارها واعظاً وعظ الشيوخ المتمقين  
حكمة . ولما ينتهي من ابداء رأيه في الموضوع يردّ عليه صوت قبي  
في عنفوان الشباب وقف على منبر الطبيعة في الغاب يرافق صوته  
الخان الناي داعياً الناس معه الى الغاب حيث لا حكمة ولا فلسفة  
بل البساطة المطلقة بعينها لا تحجزها حدود ولا تحدّها شرائع .  
والكتاب مزين باثني عشر رسماً من ريشة جبران  
وثمنه ٥ قروش والبريد ٢ قرشان

## دمعة وابتسامة

مجموعة مقالات جبران الذي اكتسب محبة قراء العربية  
بأعجابهم في وقت قصير . تحتوي على ستين مقالة بين حكاية ونثر  
شعري شائق المواضيع . وحرى بكل اديب وادبية اقتنائها وهي  
مطبوعة بأميركا على ورق جيد مزينة ببعض الرسوم في ٢٣٦ صفحة  
كبيرة وثمنها ١٥ قرشاً والبريد ٥ قروش

## الاباء والبنون

لمخاضيل نعيمه

طبعت هذه الرواية الاخلاقية الانتقادية في اميركا . وقائعها  
مأخوذة من حياتنا السورية الحقيقية . ومما تمثله هذه الرواية المراك  
الدائم بين الناشئة الجديدة والجيل القديم — بين الاباء والبنين ،  
وتأثير التعاليم الجديدة في الشبان ، وفوز الحب الطاهر المتغلب على  
كل صعوبة . وثمنها ١٢ قرشاً والبريد ٣ قروش

## رواية زنبقة الخور

لامين الريحاني

لانبالغ اذا قلنا ان هذه الرواية هي افضل ما صدر من المؤلفات  
الحديثة التي سيكون لها شأن في تاريخ الادب العربية . بل هي  
أحسن ما جاد به قلم مؤلفها الكاتب الشهير المعروف في الشرق  
والغرب (طبع أميركا) . ثمنها ١٥ قرشاً والبريد ٣ قروش



﴿ مطبوعات حديثة تطلب من مكتبة العرب بالفجالة بمصر ﴾

- ١٠ مذكرات سفير اميركا في الاستانة تعريب فؤاد صروف  
١٥ مذكرات المارشال هند نهرج رئيس جمهورية المانيا الحالى جزآن  
تعريب منصفان

- ١٥ مذكرات مدام اسكويت تعريب اسعد خليل داغر  
٦٠ الجزء الحادى عشر من دائرة المعارف للبستانى مجلد  
٨ روح الاجتماع تعريب المرحوم فتحى باشا زغلول  
١٢ لماذا انا مسيحي تعريب الارشمنديت انطون نوس بشير  
٨ رسوبوتين الراهب المحتمل تعريب اسعد خليل داغر  
٨ تذكرة الكتائب تأليف اسعد خليل داغر  
٥ تاريخ غليوم الثانى تعريب كريم خليل ثابت  
١٢ المرشد الظريف فى طالع الجنس اللطيف تعريب حنا اسعد المحامى  
٨ القوة الفكرية فى المغنطيسية الحيوية » » »  
١٥ تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها الى الآن » » »  
٢٥ » » » » » » ( ورق جيد )  
٥ معارضات قصيدة ياليل الصب للحصرى القيروانى بقلم عيسى  
اسكندر العلوف

- ١٠ ماك سوينى الصوام الارلندى تاريخه ووصف سجنه  
١٢ نوادر الحرب العظمى وهى قصص فكاهية واقعية بالحرب العظمى  
٣٠ الساق على الساق فيما هو الفاريق تأليف احمد فارس الشدياق

- ١٠ رسائل اليازجى للشيخ ابراهيم اليازجى مع ديوانه التاريخى
- ٢ نغثات مسجون وهو أدبى وطقى اجتماعى
- ٢ العصاميون الذين نبغوا من الفقر تعريب مفيد العياني
- ٢ الامتيازات الاجنبية وحقوق الاقليات فى تركيا وهى المذكورة  
المقدمة لمؤتمر لوزان تعريب اسكندر عمون
- ٥ مجموعة خطب سعد باتا الحديثة مزينة بالصور والرسوم
- ٢٠ ديوان الفجر الاول نظم خليل افندى سديوب
- ٨ « الهجو لأحد الشعراء
- ٥ « البدويات جزآن نظمه محمد بدوى عبد
- ٥ رواية فاتنة الامبراطور فرنسا جوزيف امبراطور النمسا
- ٥ « عمر وجميله اوى ربا لبنان مزينة بالصور
- ٤ « ذات الخدر بقلم المرحوم سعيد البستاني
- ٥ « فى سبيل الله والقيصر
- ٥ كتاب تهذيب النفس بقلم فؤاد صروف
- ١٠ مشاهد العالم الجديد وهى رحلة الى الولايات المتحدة بقلم فؤاد صروف
- ١٠ عامان فى عمان بقلم خير الدين الزركلى
- ٢٥ جوهر النظام فى علمى الأديان والأحكام لعبد الله بن حميد  
بن سلوم ساملى
- ٥ مناظرات الاناشيد الوطنية لمنصور عوض
- ٢ الداء والشفاء قصيدتان للمرحوم سليمان البستاني







